

25

خطأ في التربية

الطبعة الأولى

1446 هـ

2025 م

اسم الكتاب: 25 خطأ في التربية

المؤلف: سيد حامد

موضوع الكتاب: علم نفس

عدد الصفحات: 182 صفحة

عدد الملازم: 11.375 ملزمة

مقاس الكتاب: 20*14

عدد الطباعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2024/3410

الترقيم الدولي: 978-977-6697-973



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.



✉ hakayaproduction@gmail.com

☎ 01551751909 _ 01096476744

25

خطأ في التربية

أبي.. أمي.. لا تفعلوا هذا!

تأليف

سيد حامد





﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

[الفرقان: 74]



مقدمة

كم هي سعيدة تلك اللحظة التي تعيشها الأم حينما تصل إلى أذنيها صرخة صغيرها، بعد حبات العرق التي انتشرت فوق جبينها، في انتظار وليدها، ليخرج من عالم الرحم إلى الدنيا، صارخاً بكل قوته: «أفسحوا الطريق.. فأني أتيت».

بعد تلك اللحظة، وربما من قبلها أيضاً، تبدأ أطول رحلة في حياة الأسرة، رحلة تربية الأبناء، ونقل القيم والمعارف والأخلاق الطيبة من جيل الآباء والأمهات إلى جيل الأبناء، لتستمر مسيرة البشرية نحو الخير والصلاح.

في الصفحات القليلة التالية سعت -ما وسعني الجهد- أن أبين بعض الأخطاء التي يقع فيها غالب الآباء والأمهات خلال رحلة التربية التي قد تمتد لعشرين عامًا.

أولها تبدأ مع تأجيل إطلاق قطار تنشئة الطفل وتوجيهه وتقويمه، والانتظار حتى يبلغ الطفل سن الثالثة والرابعة، متجاهلين وغافلين عن أن التربية تبدأ من الحمل، إذ إن علماء الطب أثبتوا أن الطفل وهو ما زال في عالم الرحم لم



يطرق أبواب العالم، يحس ويشعر ويفكر ويحلم، وتزعجه أحلام وكوابيس، يتسم ويفرح بفرح أمه، ويستمتع بلذة إلى الموسيقى الهادئة التي تطرب لها.. ويجزن ويقطب حاجيه إذا ما شعرت بالحزن.

ونخطئ أيضاً حينما نعتقد أن الطفل، وهو ما زال صغيراً، لا يعي ولا يدرك المشاعر والأحاسيس. وذلك والله اعتقاد باطل.

اضحك في وجه طفلك.. ستجده يتسم ويرسم على شفثيه ابتسامة تضيء سماءك وحياتك، تجهم في وجهه، ستجد العبوس والحزن سرعان ما يرسمان خطوطهما، ليحولاً صفاء سمائه إلى كدر وغيوم. فالطفل وهو في المهد يدرك ويشعر ويحس، فلتعامل معه على هذا الأساس، لا على أنه قطعة لحم تملك عينين وأذنين.

ومع أهمية التربية وإدراكنا أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، نهمل شراء كتاب في التربية أو حضور ندوة تربوية، أو متابعة دروس تربوية على مواقع التواصل الاجتماعي.

وإن أعجب فأعجب من الأم التي ما إن تشعر بالجنين يتحرك في أحشائها حتى تسرع وتشتري كل مستلزمات الطفل قبل أن يطرق أبواب الحياة من ملابس وألعاب،



وتتجاهل أن تزود بمساحات من المعرفة تعينها على رحلة التربية التي تمتد لقراءة العشرين عامًا.

وأشد الدهشة من أولئك الذين يحرصون على رفع أرصدتهم في البنوك، وإحراز مزيد من النجاح في العمل، خادعين أنفسهم أن كل هذا الكد والكفاح من أجل الصغار، بينما الصغار يفتقدون لآبائهم وأمهاتهم، يتعطشون إلى الارتواء من ماء حبههم.

وكلما ارتفع الأب أو الأم في سماء نجاحه محلقةً في دنياه الخاصة، ذوت في قلب صغارهم مشاعر الحب والولاء للأبوين.

ويفاجأ الأب بعد رحلته الطويلة في العمل والنجاح المزعوم بتجاهل الأبناء، وتجمد عواطفهم نحوه.. ساعتها يبكي متحسرًا - بعدما ضاع عمره - على خسارته لأولاده وضياع الفائدة من الأموال التي أفنى أيام عمره في جمعها. فلتعد إلى بيتك أيها الأب..

وعودي إلى بيتك أيتها الأم..

عودا إليه مسؤولين عن تربية أبناء يكونون لكما فخرًا في الدنيا وذخرًا في الآخرة.



ومن أخطائنا التربوية الصراخ والغضب في أثناء تعليم الطفل الصواب والخطأ، فقد أكد علماء التربية أن الصراخ عدوى تنتقل من الآباء والأمهات إلى الأبناء، وتقطع بينها مشاعر الحب والحنان.

والتسليم بمطالب الطفل الغاضب ورفع الراية البيضاء لمحاولة إسكاته يفسده، وتعوده على استخدام هذا التكنيك الخطير لتدمير أي مقاومة تبديها الأم حينما ترفض شراء ما يريده، إذ تفيد دراسات سلوكية أن تلبية رغبة الطفل عند الصراخ هي السبب الرئيس وراء جعل هذا التصرف مستمر، مرة واحدة ينجح فيها الطفل في استخدام هذا الأسلوب الاستفزازي، حتى يصبح عنده «عادة»، وفي كل مرة وبأداء تمثيلي يستحق عليه جائزة الأوسكار يحصل على ما يريد. وحاولت أن أبين أهمية الرد وكيفيته على أسئلة الطفل، خصوصاً ما يتعلق منها بالجنس والموت والحياة، لنجنب أبنائنا كارثة الاعتماد على مصادر خارج محيط الأسرة، فيقعون فريسة للمواقع الإباحية والمجلات الفاضحة وأصدقاء السوء.

وتناولت مخاطر التكنولوجيا الحديثة، مثل ألعاب الحاسب الآلي والهواتف الذكية ومواقع التواصل الاجتماعي، وخطورة



أرجوك لا تفعل هذا

ترك الطفل حُرّاً من كل قيد في التعامل معها، إذ ربما غرق في بحورها الفاسدة، مقدماً بعض الإرشادات عن كيفية التعامل مع تكنولوجيا الاتصال الحديثة لتحقيق أقصى فائدة ممكنة منها.

والله من وراء القصد

سيد حامد

Sayedhamed@hotmail.com



«ليس ذنبهم أن يومك كان سيئاً»

الحياة معترك صعب،
كثيرة هي مشاكلها،
لكن لا ذنب للصغار أن
يكتوبوا بنيران المصاعب
التي تواجه الكبار.

كل يوم يمر الآباء والأمهات
في حياتهم الخاصة بمواقف صعبة،
فالحياة ليست نزهة على شاطئ
السعادة تمر هادئة وواعدة، فهناك ما
قد يعكر صفوها، فهذا يشكو ويئن
من مشكلاته مع زوجته، وغدر
الأصحاب، وسخافات المدير،

وازدحام الطرق، وغلاء الأسعار، واستغلال الجشعين،
فيعود إلى البيت وهو يحمل على أكتافه كل تلك الهموم،
يقابله أطفاله سعداء، يمزحون معه، فلا يجدون إلا صدىً
ونفوراً، لقد أصبح كارثة تمشي على الأرض.

وفجأة، يرتكب الطفل خطأ بسيطاً، فتتجمع كل سحب
الغضب في سمائه، وتمطر صراخاً وغضباً.



تلك الأجواء الغاضبة العاصفة لا تُثبت في نفس الأطفال إلا الحزن، ويتساءلون في عجب: ما خطؤنا أن يوم أينا كان سيئاً؟ تقول «سارا بادكليف» في كتابها الرائع (التربية):

«إننا حينما نشعر بالتوتر ننقل مشاعرنا السلبية إلى الأطفال..
قد لا يكون الإرهاق وحده سبب كل متاعبنا..
قد نعاني مشاكل في العمل..

أو عدم توافق أسري بين الزوجين..

بإمكان كل ذلك إطلاق نوبات غضب.. والنتيجة أن يجد الصغار أنفسهم متواجدين مع كبار يشعرون بالتعاسة..

ويفسر الأطفال تلك التعاسة على أنهم هم السبب فيها..

ولا يستطيعون إدراك إمكانية أن يكون لدى الوالدين مشاكلها الخاصة بهما».

الآن.. لنعد المشهد السابق بطريقة عكسية..

يعود الأب إلى البيت، يترك على عتبه كل همومه وأوجاعه، يفتح صدره لأطفاله، فيرتمون في حداثقه، ويزرعون فيها فرحة وسعادة، وينثرون على وجهه قبلات، تضيء ابتساماتهم روحه، تغسل كلماتهم البريئة همومه.



ألن يكون هذا الأب سعيداً؟ وينقلب كدر اليوم إلى فرح؟ ألن تمده ابتسامات الأطفال بطاقة تدفعه إلى مزيد من تحدي الحياة والسعي فيها؟

في هذا المعنى الرائع يقص علينا عالم النفس الشهير «نورمان فنسنت بيل» في كتابه (الحياة بلا خوف) قصة فتاة في إحدى قرى إسكتلندا، تاملت وهي في السادسة والعشرين من عمرها، ترك لها زوجها عدداً من الأطفال الصغار، ورغم ذلك استطاعت أن تمضي في بحر الحياة المتلاطم، حتى صار أولادها رموزاً في المجتمع، فكيف ذلك؟!

يقول بيل: بعد أن انقضت فترة الحداد كان عليها أن تساعد هؤلاء الصغار، عملت في الحقل الذي تركه زوجها الراحل، كانت البداية شاقة متعبة، فبأي قوة كانت ترعى شؤون الأطفال في البيت؟

كانت تعود إلى بيتها بعد غروب الشمس، متهاكة متعبة، ولكنها لا تكاد تلتقي بصغارها الذين قضوا النهار في انتظار عودتها، وترى تلك الابتسامات الحلوة التي تملأ وجوههم وهم يلتفون حولها، حتى تقفز من رقدتها، وتسرع إلى المطبخ لتعد لهم وجبة الطعام الوحيدة التي يملؤون بها معدتهم الخاوية.



وفي الصباح ترى زهورها الصغيرة وقد كبرت يوماً، والابتسامات تفوح منها، فتسري الطاقة في جسمها تحثها على مزيد من العمل والكد، من أجل أن تكبر الزهور وتصير رجالاً ونساءً عظماء في المجتمع، وهو ما كان.

بعض الآباء والأمهات يزعمون أن سفينة يومهم حينما ترسو في البيت تجبرهم على طلب الراحة لذلك الجسد المكدود، فلا يقدرّون على المزاح مع الأطفال أو تحمل أخطائهم الساذجة، وتلك والله حجة باطلة.

رسولنا ﷺ كان إذا أقبل من سفر استقبله الصبيان، فيحمل بعضهم بين يديه، وبعضهم خلفه، وكان يأمر أصحابه أن يفعلوا مثله، لا يمنعه من ملاعبة الأطفال جسده الذي يطلب بعض الراحة والسكينة بعد رحلات الجهاد الشاقة التي يخوضها في سبيل الله تحت حرارة شمس الصحراء الحارقة، والسير فوق رمالها الساخنة.

ويروي الشيخان عنه ﷺ أنه كان يقول: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله».

الدكتور سبوك في كتابه (تربية الأبناء في الزمن الصعب) يقدم لنا نصيحة هامة، فيقول:



«لا تجعل الطفل سبباً لكل منغصات حياتك، فتنفجر فيه
وكأنك تنهال ضرباً على ظروفيك الصعبة».

فلا تستخدم الإزاحة في معاقبة الأبناء.

لا تنقل العقاب من طرف أقوى إلى طرف أضعف.

تعاني المشاكل مع مديرك في العمل فلا ترد عليه، وتصب
غضبك على أبنائك في البيت، والأم لا تستطيع أن تتعامل مع
زوجها، فتكيل الضرب والسباب للصغار.

قبل أن نعاقب أبنائنا، علينا أن نبحث في أعماقنا أولاً،
ونحل مشاكلنا مع أنفسنا قبل أن نحل مشاكلهم.



إشراقة:

قبل أن تطرق باب بيتك، تأكد أنك قد نظفت
همومك عن كاهلك، ونظفت نفسك من الأوجاع،
لتجعل الطريق ممهداً أمام ابتسامة أولادك لينيروا
حياتك، ويغذوك بمزيد من الطاقة لمواجهة أعبائها.





إهمال السنوات الأولى من حياة الطفل

السنوات الست الأولى من عمر الطفل هي الأعمدة التي يُشيد عليها بناء شخصية الطفل، فخلالها تتكون فكرته عن ذاته والآخرين والحياة عمومًا، فإذا غرسنا قواعدها في أعماق

أرض الأخلاق والفضائل

شب الطفل قويًا قادرًا

على مواجهة أمواج الحياة

العاتية ورياحها الثائرة.

ولللأسف يعتقد كثير

من الآباء والأمهات أن

تلك السنوات هي أعوام

اللعب واللهو.

قد يقول قائل إن هناك

إمكانية لتعديل سلوك

الطفل خلال سنوات العمر

«كارولين جرانيير» طبيبة نفسية

طلبت من 50 متطوعة حبلن أن

يستمنعن إلى معزوفة بيانو مرتين

يوميًا، وبعد شهر من الولادة،

وضعت معزوفتين للأطفال خلال

نومهم، تلك التي سمعوها في

الرحم، وأخرى لم يسمعوها من

قبل، وكانت النتيجة أن تجاوب

الأطفال مع المعزوفة التي

يعرفونها، وتسارعت دقات قلوبهم.



المتقدمة، لكن استمع إلى علماء النفس الذين يؤكدون أنه على الرغم من إمكانية حدوث تعديل وتغيير في النمط الذي نشأ عليه الطفل، إلا أن هذا التعديل يكون من الصعوبة بمكان! بل إن الدكتور عبد الكريم بكار ينزل بعدد تلك السنوات إلى ثلاث فقط، فيقول: «السنوات الثلاث الأولى التي يظنها الكثيرون فترة لعب ولهو وعدم إدراك هي ميلاد ثانٍ للإنسان، وفيها تتشكل ملامح أسس السلوك الاجتماعي، الذي يظل ثابتاً طوال العمر».

هي ميلاد ثانٍ للإنسان، لأن الدراسات الطبية تتحدث عن أن شخصية الطفل تبدأ في التكون منذ أن ينفخ الله فيه الروح داخل رحم الأم.

وخلال تلك السنوات الأولى -والتي يكون وعي الطفل فيها محدوداً، وإدراكه ضيقاً- يحتاج المربي إلى عدة مهارات للتعامل مع طفله.

المهارة الأولى: قوة الملاحظة

وتبدأ بملاحظة حركة الطفل داخل الرحم، ماذا يفعل؟ وكيف يدور ويتحرك؟ فالأطفال داخل الرحم يسمعون، وعندما يأتون للعالم يتذكرون، كيف ذلك؟



تتكون حاسة السمع لدى الأجنة قبل البصر، فتبدأ الأولى بالعمل منذ الشهر الخامس من حياته، بينما تعمل حاسة البصر بكفاءة بعد الشهر الثالث من الولادة، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: 78]، فقدم السمع على البصر، وهو من الإعجاز العلمي في القرآن.

وعندما ينضج السمع يتألف الجنين مع الأصوات في محيط أمه، والإنسان بهذا هو المخلوق الوحيد الذي يبدأ في سماع الأصوات وهو في الرحم، يستطيع أن يسمع صوت تدفق الدماء في الأوردة، وصوت حركة الجهاز الهضمي، وصوت الشهيق والزفير، وصوت ضربات القلب، وأحب الأناشيد لديه صوت أمه بالطبع.

والآن، عليكِ عزيزتي الأم الحامل..

التحدث إلى طفلك، والأبحاث العلمية تؤكد أن الرضيع يطمئن لنفس النغمات التي كان يلتقطها عندما كان في عالم الرحم. وابتدئي في تنشئة طفلك وهو ما زال في رحمك، وتدبري آيات القرآن الكريم، لينشأ هادئًا، خيرًا، محبًا لكلمات الله، متعلقًا بكتابه.



واحذري الموسيقى الصاخبة، فهي مرهقة للجهاز العصبي للجنين.

واعلمي أن تلك البذرة التي تنمو في أحشائك تتأثر بالحالة المزاجية التي تكونين عليها، وتتفاعل مع شعورك بالفرح أو الغضب. تعبس حينما يتسلل إليك الحزن، وتضيء كالقمر حينما تراقصين السعادة، وقتها ينساب إلى جسد جنينك هرمون «الإندورفين» والمعروف بـ «هرمون السعادة»، فينام هادئاً مطمئناً انتظاراً لموعده المقدر لمصافحة شمس الحياة.

وبعد الميلاد...

يمكن ملاحظة لغة جسد الطفل: كتعبيرات الوجه ونبرات الصوت، هل يبدو سعيداً؟ هل متعب؟ هل جائع؟ تلك اللغة الخاصة التي تنشئها الأم مع وليدها تفيد في تحقيق عملية «التواصل الالهامي»، فتقرأ من حركات الطفل ماذا يريد وبماذا يشعر، يمكنها مثلاً أن تعرف حركاته إذا جاع من إمالة الرأس والأنين الخافت، فتسرع إلى إطعامه قبل أن يبدأ في الصراخ، مما يساعد على تنشئة طفل هادئ. الملاحظة تفسح الطريق أمام الخطوة الثانية للتعامل مع الطفل.



المهارة الثانية: تسمية المشاعر

فور معرفة حالة الطفل، يمكن للآباء والأمهات أن يكتسبوا مهارة تسمية المشاعر التي يمر بها الطفل، فإذا كان سعيدًا تقول له الأم: «أرى أنك سعيد يا حبيبي»، وإذا كان مرهقًا: «يبدو أنك متعب، هل أغير لك وضعتك؟»

صحيح أن الأطفال في تلك المرحلة لا يعرفون معاني الكلمات، إلا أنهم يميزون نبرات الصوت ولغة الجسد، فتنتقل العواطف عن طريق الاتصال الالامي الذي يصاحب الكلمات.

تفيد تلك العملية في تنشئة أطفال «أذكياء عاطفيًا» قادرين على التفرقة بين حالات المشاعر التي يمرون بها، فيعرفون أن

رسولنا ﷺ كان بعدما يفرغ من استقبال الوفود التي جاءت إلى المدينة تعلن إسلامها، وينتهي من أعمال المسلمين يسارع عائداً إلى بيت ابنه «إبراهيم».. يمرح معه.. بهش له.. يخرج له لسانه.. فيفرح الصغير ويتبسم.

السعادة لها حالة وسلوك وألفاظ معينة، كذلك الحزن والغضب والقلق، فيحدث ما يُشبه الترتيب الوجداني لمشاعرهم، وهو ما يفيدهم أيضًا عندما يشبون ويتعاملون مع المحيطين بهم.



خبراء التربية يقولون إن تلك المرحلة يمكن استغلالها أيضاً في تطوير المهارات اللغوية لدى الرضيع، من خلال دخول الوالدين معه في حوار، مما يحفز مهارات الاتصال اللغوي لديه. فالرضيع يستطيع فهم اللغة عندما يسمع الألفاظ تُطلق على الأشياء، ويدرك أن إصدار الأصوات يمكنه من الاتصال بالآخرين، والتعامل مع كل ما يحيط به.

ويالها من فرحة حينما ينجح الطفل في إنتاج أول كلمة تخرج من فمه، يشعر وقتها بأنه الملك المتوج لهذا الكوكب الأزرق، ويطير فرحاً حينما يجد تجاوباً من أبويه، فيزيد من إصدار تلك الأصوات الجميلة. ومن شهره الرابع يحاول تقليد الأصوات، وينطق بعض مقاطع الكلمات بسهولة، مثل: «با» و«ما»، وهما المقطعان الأولان لـ «ابا» و«ماما».

أما البيوت التي يخيم عليها الصمت، ويصيب سكانها الخرس، فلا حديث مع الصغير، لا ابتسامة، لا ملاعبة، فإنها تجعل الطفل يتألم، وخاصة عندما يشعر أن أبويه منصرفان عن متابعته وتسجيل أولى كلماته، فيزهد في الكلام، ويتعلم ألا يتعلم الكلمات.

ورويداً رويداً تكبر النبتة، ويخطو الصغير أولى خطواته على الأرض، يتقمص أدوار المغامرين الذين جابوا الأرض



والبحر، فيحاول مثلهم اكتشاف محيط بيته، وارتداد كل حجراته، فيقابله أبواه بقائمة طويلة من التعليمات والتنبهات:

- لا تدخل هذه الحجرة.
- لا تفعل هذا.
- لا تلتقِ بطعامك على الأرض.
- لا تضع ذلك الشيء في فمك.
- اجمع ألعابك.

تلك التعليمات الزائدة لها وجه سلبي، إذ تجعل روح الاستكشاف تخمد داخل نفس الطفل، وتطفئ لديه جذوة حب المعرفة، والبديل الصحي عن التعليمات والمحاذير الصارمة إظهار الوالدين لمشاعرهما قبل تنبيه الطفل إلى السلوك المرغوب.

- إذا كان الطفل يلقي بطعامه في كل مكان، فلا تقل الأم: «لا تلتقِ الطعام هكذا في كل مكان». يمكنها أن تقول: «أرى أنك تحب أن تلقي طعامك في كل مكان، هذا مسلٌّ، أليس كذلك؟ المشكلة أن ماما يجب عليها أن تنظف، وماما لا تريد أن تفعل ذلك. من فضلك اترك طعامك مكانه في الطبق».



• والطفل الذي يبعثر ألعابه، ويريد أن ينهي اللعب دون أن يجمعها في الصندوق الخاص بها، لا تقل الأم بطريقة أمرية: «اجمع ألعابك ومكعباتك». الصواب: «أرى أنك تستمتع باللعب بمكعباتك الآن. يمكنك أن تلقي بها ثانية لاحقًا، أما الآن فعليك أن تجمعها».

تساعد عملية «التدريب العاطفي» تلك على توطيد العلاقة بين المربين وأطفالهم، كما أن لها دورًا في تسريع عملية اكتساب الطفل للغة.

الخبرة الاجتماعية «فليس بارسونز» تقول إنه إذا لُقِّنَ الطفل معلومة إلى جانب ما يوجه إليه من إرشادات وتوجيهات، فمن شأن ذلك الأخذ بيد الطفل ومساعدته على إدراك تأثير سلوكه على الآخرين، وفي الوقت نفسه يثري حصيلة الكلمات لديه.

المهارة الثالثة: الاهتمام الإيجابي بالطفل

يميل الأطفال بطبعهم إلى جذب الانتباه ليكونوا محور الكون لمن حولهم، ويستطيع عديد من الآباء والأمهات إعطاء هذا الاهتمام لطفلهم بسهولة، من خلال الابتسام والتقبل والاحتضان والكلام والمدح واللعب والإشارات والإيماءات.



ومن خلال الاهتمام الإيجابي يمكن تدعيم السلوك الإيجابي المقبول، مثل الأكل بطريقة لطيفة، والنوم بصورة هادئة، وإنجاز الأعمال البطولية، مثل رفع الرأس، والجلوس، واللعب.

لكن الأمر ليس بهذه السهولة، فليس الأطفال كلهم متعاونين، فمنهم من يكون منحرف المزاج، سماًؤه ملبدة بالغيوم، عيناه سحب استوائية تُمطر دموعاً غزيرة في كل فصول العام. هنا يشعر الآباء والأمهات بالإحباط والقلق والغضب، وقد ينجرفون أكثر مع التيار السلبي بالدرجة التي يكرهون فيها أطفالهم.

فالأم التي تصرخ في طفلها بشكل مستمر، لمنعه من إحداث الجلبة والضوضاء، هذا التدخل لا يفيد، إذ قد يسكت الطفل مصدوماً لمدة قصيرة، ثم ينفجر بعدها في نوبة صراخ وبشكل أشد.

يمكن مواجهة عاصفة البكاء بشيء بسيط.. «الإلهاء»..

ويعني توجيه الصغير نحو السلوك المقبول الذي يمكن امتداحه عليه، أو الالتفات إليه بطريقة أو بأخرى، فالصغير الذي يحاول تلمس أشياء لا يجوز لمسها مثل مقص الشعر، لا نخيفه بقول «لا» على الدوام، وإنما نصرف بصره إلى



الركن الآخر من الغرفة، فيما نخفي الأشياء التي لا يجوز لمسها، ومن ثم نكفيه شر التآنيب واللوم والصراخ.

المهارة الرابعة: استخدام طريقة التعليق.. التسمية والمكافأة

قلنا إن الطفل في أشهره الأولى يرتدي عباءة المغامر، فهو يريد أن يتعرف على كل شيء محيط به، أن يلهو بأدوات المطبخ الحادة، أن يتلمس مكابس الكهرباء.

بعض الأمهات تتغلب على ذلك بإبعاد الطفل من مكان إلى آخر، إلا أن هذا يعد حلاً مؤقتاً، والأفضل أن تكون هناك طريقة لإقناع الطفل النشيط أن يتجنب الأنشطة غير المرغوب فيها، وتشجيعه على ممارسة الأنشطة المرغوب فيها. هذا الأمر يمكن أن يتم باستخدام مبدأ «البهجة»..

فالأب والأم يستطيعان استخدام مهارة الملاحظة لمعرفة السلوك المحبب وقتما يحدث، ثم يسرعان بالتعليق الإيجابي عليه، ومكافأة الطفل بالاحتضان والتقبيل والتصفيق المتحمس. صحيح أن الأطفال الصغار لن يفهموا معاني الكلمات، لكن المعلومات العاطفية تنتقل إليهم من خلال التعبيرات السعيدة التي يبديها الوالدان، مثل نبرة الصوت والابتسام وتعبيرات الوجه، وغيرها من تعبيرات لغة الجسد، مما يكون



له دور عظيم في توصيل البهجة والسعادة للطفل. وتتسبب تلك المشاعر في مزيد من انخراط الطفل في السلوك المحبب.

وماذا عن السلوكيات غير المرغوب فيها؟

هناك خطأ شائع يقع فيه غالبية المربين، إذ يستخدمون الصوت العالي والصراخ لمنع الطفل من السلوك غير المحبب. هذا الأمر يلفت الأطفال، فيكررون السلوك نفسه، لا لشيء إلا ليحصلوا على القدر نفسه من الاهتمام والانتباه. السلوك غير المقبول يمكن علاجه، بتجاهله وعدم إعطائه سوى قدر ضئيل من الانتباه، بما يطفى اهتمام الطفل به، (هناك فارق بين هذه العملية ونقص الاهتمام حينما يتعلق الأمر بالأمن والأمان)، ومن ثم يتعلم الأطفال أن هناك سلوكيات تلفت الانتباه أكثر من غيرها، وينخرطون فيها لمحاولة جذب الانتباه.

إشراقة:

«التعليم ليس إعدادًا للحياة، التعليم هو الحياة».

(جون ديوي)



التوبيخ المستمر للطفل والأوصاف السلبية

خلال السنوات الأولى من عمر الطفل تتشكل فكرته عن نفسه، وبمرور الوقت تتأصل هذه الفكرة، وتصبح جزءاً منه، فيكون من الصعب تغييرها. هذه الصورة تتكون من خلال كلمات الوالدين، وعبارات الذم والمدح، والثناء والتشجيع، والتحقير والعقاب.

زار الإمام محمد عبده (1849 - 1905) إحدى مدارس أسوان، ودخل أحد الفصول، وكانت المفاضلة بين شيئين هي المحور الغالب على موضوعات الإنشاء آنذاك، أيهما أفضل: المال أم العلم؟ الذهب أم الحديد؟ الصيف أم الشتاء؟ الرأي أم الشجاعة؟ السيف أم القلم؟ الحرب أم السلم؟ عرض مدرس الفصل على الإمام كراسة تلميذه محمود، والذي كان يحرص على اختيار أضعف الجانبين، ويشجعه أستاذه على هذا الاختيار على أن يكون من باب المران، والتدريب على الكتابة. تصفح الإمام كراسة التلميذ



النجيب، تصفحها باسماً، وناقش التلميذ في بعض ما ذهب إليه من تفضيل، ثم التفت إلى الأستاذ وقال: «ما أجد أن يكون هذا كاتباً!».

وكان للكلمة مفعول السحر، فقد رسمت للتلميذ الطريق الذي سيسلكه. وبعدها بسنوات معدودة تتحقق نبوءة الإمام، وتعرف مصر أديباً عملاقاً هو عباس محمود العقاد (1889 - 1964).⁽¹⁾

الكلمات التي نلقيها على آذان الأطفال تحفر كالأمطار مجرى حياة أولادنا. فعقل الطفل كالرادار يلتقط ما نقوله ويترجمه إلى واقع، فإذا اعتدت أن تنادي طفلك بـ: يا ذكي.. يا عبقري.. يا مبدع.. سيكون دائماً في حالة من اتقاد الذهن والهمة والنشاط، والرغبة في التحصيل الدراسي والتفوق، حتى يستمر في الاستحواذ على تلك الألقاب الجميلة.

فالكلمات الإيجابية ذات قوة تحفيزية رهيبية، وفيها نفع وخير، كما قال ﷺ «الكلمة الطيبة صدقة». والمدح مثل ضوء الشمس، ولن نستطيع أن ننمو ونزدهر بدونها.

(1) عباس محمود العقاد، أنا (القاهرة: كتاب الهلال، العدد 160 - صفر 1384 هـ - يوليو 1964) ص 61.



علماء التربية يقفون طويلاً عند نظرية يطلقون عليها «النبوءة التي تحقق نفسها ذاتياً». مفادها أننا إذا اعتقدنا أن الطفل ذكي وعبقري، وسيكون ذا شأن كبير في المستقبل، فسيعمل عقل الطفل تلقائياً على تحقيق تلك النبوءة.

نابليون بونابرت (1769 - 1815)، الذي دوّخ أوروبا لسنوات، وتعلمت العسكرية من عبقريته، يقول: «إن ما توصلت إليه اليوم هو من عند أمي». وكان محقاً فيما قال، فهي التي زرعت في داخله الطموح ليغير تاريخ أوروبا. وبالمثل، إذا وصمناه بأنه فاشل، وغبي، وكسول، فلن يحقق أي نجاح، وسيعمل على الإتيان بسلوكيات تثبت له وللآخرين أنه كذلك.

علماء النفس يفسرون هذا الأمر بأن المرء يظل يردد الأفكار التي يسمعها عن نفسه في داخله إلى أن يقتنع بها، ويتتهج -وهو لا يدري- الطرق التي تحقق تلك التصورات. لهذا يحدّثنا الفيلسوف البريطاني جيمس آلن (1864 - 1912): «كل ما يصنعه المرء هو نتيجة مباشرة لما يدور في فكره، فكما أن المرء ينهض على قدميه، وينشط ويتج بدافع من أفكاره، كذلك يمرض ويشقى بدافع من أفكاره أيضاً».



عاش تشارلز ديكنز (1812 - 1870) طفولة بائسة بعدما أفلس والده، إذ ترك الدراسة وعمل في مصنع لتعبئة زجاجات الصبغة، وحينما عاد إلى مقاعد المدرسة شجعه مديرها، وكلما شاهده قال له: «إنك يا بني ستصبح كاتبًا عظيمًا». وتحققت النبوءة، وصار ديكنز شيخ الروائيين البريطانيين.

فالطفل الذي تنعته أمه بأنه «كسول»، وتكرر على أذنه: أنت كسول.. أنت كسول.. قد يستوعب هذا الوصف في ذاته عن نفسه، وبمجرد أن يحدث هذا يبدأ في القيام بسلوكيات تثبت له وللآخرين أنه كسول، لا يستيقظ مبكرًا، يمشي مترنحًا، لا ينجز واجباته المدرسية. ماذا تريدون منه؟ إنه كسول.

قد تقول أم إن ابنها بالفعل كسول، أقوى الزلازل لا توقظه من نومه، تقوم القيامة ولا يقوم هو من فراشه. لا يمكن مساعدة الطفل بهذا الأسلوب، فالنعت السلبي يزيد المشكلة، هنا الطفل يحتاج إلى مساعدة من نوع مختلف تمامًا، يحتاج إلى أن يغير مفهومه عن نفسه، ولتخيل مثلاً الأم وهي تقول لطفلها: «لديك طاقة كبيرة، استخدم طاقتك في النهوض من الفراش حالاً، وتبدأ يومك نشيطاً»، وكلما



أبدى الطفل نزوعاً إلى الكسل، تذكره الأم أن لديه مخزوناً كبيراً من الطاقة. في نهاية الأمر ستأتي الكلمات بمفعولها على وعي الطفل أو لا وعيه، ويدرك أنه يملك بالفعل قوة للنهوض والاستيقاظ نشيطاً.

ولأن الأوصاف السلبية مدمرة، فإن إحدى القواعد التي يمكن أن تلتزم بها الأم هي: «عدم استخدام النعوت السلبية أبداً».

فالأم التي تريد لطفلها أن يكون: كريماً.. مسؤولاً.. رؤوفاً.. نشيطاً.. موضع ثقة.. متعاوناً.. موهوباً.. مستقلاً.. يراعي مشاعر الآخرين.. واسع الحيلة.. وغيرها من الصفات الجميلة، عليها

التوبيخ والتعنيف اللفظي لا يقل خطورة عن الضرب، ويجعل الأطفال يشعرون بالدونية.

أن تستخدم تلك الصفات يومياً على مدى العشرين عاماً من نشأة الطفل، حتى ولو قام بسلوكيات سلبية.

- فالطفل الذي لا يتكلم باحترام، نقول له: من فضلك، تكلم بتهديب أكبر.
- والطفل الذي يضرب أشقائه: عليك أن تكون لطيفاً مع إخوتك.



- والطفل الذي كاد يُسقط الكوب من يديه: عليك أن تكون أكثر حرصًا.

فالقاعدة هنا هي: استخدام عكس النعت الذي يصف سلوك طفلك الخاطيء: بذيء تصبح مهذبًا، فوضوي تصبح مرتبًا ومنظمًا، قذر تصبح نظيفًا، أناني تصبح كريماً، مهمل تصبح منظمًا، متأخر تصبح في الموعد.



إشراقة:

«طعنة الكلمة تنفذ أعمق من طعنة السيف».

(روبرت بورتون)



كافئه ولا تحبطه

المكافآت من الأساليب المحببة إلى الأطفال، والتي تساعد على تنمية السلوكيات الجديدة، بجانب فهم الأطفال لتلك السلوكيات واستيعابها. ورغم أهميتها إلا أن استخدامها يشوبه العديد من الأخطاء.

ساعدت سميرة والدتها، تلك كانت المرة الأولى التي تؤدي فيها دور سندريلا، وانتظرت الصغيرة، والشغف يجعلها تتقافز فوق الأرض، المكافأة، لكنها لم تلمس يديها جائزة، ولم تسمع أذانها كلمة تشجيعية، فحزنت وقررت ألا تساعد ماما مرة ثانية.

لهذا تؤكد الدراسات التربوية على أهمية مكافأة الطفل فور أن يقوم بالسلوك الإيجابي، من أجل تعزيز هذا السلوك وضمان أن يواظب عليه، فالمكافأة تعكس معنى القبول الاجتماعي للسلوك، وهي نوعان:



1 - المكافأة المادية: مثل إعطاء الطفل نقودًا أو قطعة حلوى، أو شراء هدايا مادية، كساعة أو دراجة، أو السماح له بالسهر إلى ما بعد الوقت المحدد لمشاهدة فيلم هادف.

2 - المكافأة الاجتماعية أو المعنوية: وتتمثل في التقبيل والاحتضان والتبسم والترتيب على الكتف، ومسح شعر الرأس، والمديح، وإيماءات الوجه المعبرة عن الرضا والاستحسان، والثناء والمداعبة.

احتضان الوالدين لابنهما يزيد ذكائه ونموه الطبيعي، إذ إن الحب يفرز في الجسم مادة «الإندورفين» Endorphin فتخلق شعورًا بالسعادة والرضا نتيجة توسع الأوردة والتخفف من الضغط العصبي.

والمكافآت المعنوية أعظم تأثيرًا في نفسية الطفل من نظيرتها المادية، فهي أقدر على التعبير عن الرضا والسعادة، كما أنها مجانية، ولهذا فإننا نستطيع أن نكثر منها، ونمد الطفل بشحنات عاطفية تساعده على مواجهة صعاب

الحياة، فإذا تعثر وجد من يحتضنه، وإذا فشل وجد من يأخذ بيده.



أحد التربويين يقول: «امنح أولادك الكثير من الحب، والقليل من المال». وذلك لأن حاجتهم إلى الحب كبيرة، وللأسف كثير من الناس يفعلون العكس، فتتحول المكافأة إلى «رشوة مقنعة»، كما يصفها الاستشاري النفسي عثمان بيومي، مثلما يفعل الأب الذي لا يجد الوقت الكافي للجلوس مع أبنائه بسبب انشغاله المستمر، فيحاول أن يعوض ذلك بإغداق الهدايا المادية على أطفاله، باعتبارها وسيلة لشراء حبه.

وجه آخر تتحول فيه المكافأة المادية إلى رشوة، حينما يطلب الطفل الحصول على جائزة لكي يقوم ببعض الأعمال، كأن يقول: «سوف أقوم بكذا مقابل الحصول على حلوى». والفارق بين المكافأة المادية والرشوة كبير، فالأولى تأتي بعد السلوك، أما الرشوة فتسببه، وفي أسلوب المكافأة تكون الأم هي المسيطرة، وفي الرشوة يكون للطفل اليد العليا. ومن خلال المكافآت يمكن إيقاف بعض السلوكيات غير المرغوبة، باستخدام «قاعدة جدتي»، التي تجمع بين تعليمات غير محببة ومكافأة محببة.

- حينما تنتهي من واجباتك يمكنك مشاهدة التلفاز.



- حينما تنتهي من جمع ألعابك يمكنك الخروج للعب.
- عندما تتوقف عن ضرب شقيقتك فسوف نذهب في نزهة.

هناك فارق كبير بين المسؤولية والمكافأة المادية، فلا يجب على المربي أن يعطي الطفل مكافأة مادية على الدوام مقابل التزام الطفل بمهامه الأساسية، وإلا فإن شعور الطفل بالمسؤولية يضعف، ويتعود على طلب مكافأة مقابل أي عمل يقوم به.

الساحر في تلك الجمل أنها تبدأ بطلب غير محبب للطفل، لكنها تنتهي بشيء محبب له، وبدلاً من العراك حول مشاهدة التلفاز، نطلب من الطفل أولاً وببساطة أن يقوم بأداء واجباته المدرسية، بعدها يمكنه الاستمتاع ببرامج الشاشة الصغيرة.

وماذا عن السلوكيات المعقدة التي تتطلب من الطفل مجهوداً أكبر كتنظيف غرفته بمفرده، واحترام إخوته وعدم التشاجر معهم؟

تقدم لنا «سارا راد كليف» في كتابها (التربية) أسلوب «جدول المكافآت»، وهو يقوم على فكرة «تفكيك» السلوك إلى عدة أجزاء، وكلما قام الطفل بمهمة حصل على جائزة، وحينما يقوم بالمهمة التالية يحصل على مكافأة أكبر، وهكذا



يتدرج الطفل في سلوكه ليصل إلى قمة الهرم، ويحصل على المكافأة الكبرى.

لنعطِ مثالاً: إذا كانت الأم تريد من طفلها أن ينظف ويرتب غرفته، يمكنها أن تفكك هذا الأمر إلى: حمل الأشياء من على الأرض، تعليق الملابس، ترتيب المكتب، تسوية السرير.

لنجعل دائماً المهمة الأولى سهلة الأداء، فإذا نظف الطفل أرضية غرفته يحصل على مكافأة، لتبدأ المهمة التالية وتكون أصعب من الأولى، وبالتالي تكون المكافأة أكبر، وتستمر المهام في التزايد فيما يتزايد حجم المكافآت، وهكذا يتم تعزيز السلوكيات حتى يتحمل الطفل مسؤولية نظافة غرفته كاملة، فيحصل على الجائزة الكبرى.

وإذا كان السلوك مفرداً مثل توقف الطفل عن ضرب أشقائه، فهنا يمكن أن نضع سلسلة من الفترات الزمنية تتزايد مدتها، وبعد الالتزام بكل فترة يحصل على جائزة، مثلاً تكون الفترة الأولى دقيقة، فإذا لم يضرب فيها الطفل أشقائه يحصل على جائزة، لتبدأ الفترة الثانية، ولتكن عشر دقائق، ثم ربع ساعة، نصف ساعة، ساعة، ساعتين، الصبح كله، المساء كله، اليوم بأكمله.



المكافآت - كما رأينا - من الأمور الهامة التي تساعد على
بناء علاقة عاطفية قوية بين الكبار والصغار، ورغم ذلك لا
يبالي بها الكثير، فهل أنت منهم؟



إشراقة:

«تسعة أعشار التعليم تشجيع».

(أناتول فرانس)





مكافأة الطفل على السلوك الحسن فقط

يخطئ الآباء والأمهات حينما يكافئون الطفل بعد القيام بالسلوك المرغوب فقط، فيشعر بأنه لن يكون محبوبًا إلا حينما يقوم بالسلوك المهذب، بينما يحتاج إلى أن يشعر بالقبول والحب، بصرف النظر عن مدى الالتزام بقواعد وتعليمات الأباوين، هما يجابانه لشخصه لا لسلوكه.

نعتقد -نحن المربين- أن كلمة «أحبك» لا مكان لاستعمالها في قاموسنا مع عالم الصغار، إلا عندما يقومون بعمل بطولي ينجح في انتزاع آهات إعجابنا وعبارات الاستحسان، كأن ينجح في اختبار مدرسي، أو يطيعنا وينفذ ما نطلبه.

وهذا «نصف حب». فالحب ليس مقايضة، وإنما عطاء مستمر، وبذل للعواطف دون قيد أو شرط، فأنا أحبك لأني أحبك.



علماء التربية يصنفون الحب إلى نوعين:

- **الحب المشروط:** تمنحه لطفلك حينما يقوم بسلوك مقبول، كأن يغسل أسنانه، أو يؤدي واجباته المدرسية، أو يساعد والدته في ترتيب البيت، أو يصلي صلوات اليوم.
 - **الحب غير المشروط:** تنشره على صغيرك بدون أن يقوم بسلوك يتوقع منه مكافأة أو مدحًا، تغمره بقبلااتك لا لشيء إلا لأنك سعيد بكونه ابنك، تمنحه هدية بدون سبب، تخرج معه في نزهة لم يطلبها، تلعب معه وتمازحه، تحضنه وتربت على كتفه، تنصت إليه على الدوام، وتبدي اهتمامًا به وبمشكلاته مهما كانت تافهة.
- والفارق بين الاثنين كبير، فالأول يجعل الطفل يشعر بأنه على المسار الصحيح، وأنه يستطيع الحصول على رضا والديه بالاستمرار في أداء السلوك المقبول.

لكن خطورته أن الطفل ربما يشعر بأن حب والديه ما هو إلا «مقايضة». «تناول إفطارك حتى تجبك ماما»، «نم مبكرًا حتى يجبك بابا»، «اسمع الكلام حتى نجبك». وهنا يقف حائرًا: هل عليّ أن استحق الحب لكي أحصل عليه؟ هل ماما تجبني فقط حينما أكون نظيفًا ومتفوقًا؟



ويزيد هذا الشعور السلبي عمقًا حينما لا يقدم الوالدان للطفل الحب والابتسامات والجوائز إلا حينما يقوم بسلوك يكون مقبولاً منهما. وقتها يشعر الصغير بأنه غير محبوب، وأن والديه لا يحبانه لذاته، بل يحبان السلوك الذي يقوم به.

الحب الحقيقي ليس صفقة فيها طرف خاسر وآخر رابح، الحب عطاء بلا حدود، سواء أخطأ الطفل أم أجاد. وهذا هو الحب غير المشروط، والذي يعطي الطفل أمانًا داخليًا بأنه يحظى على قبول والديه وحبهما دائمًا، وأن إطاعته للأوامر والتعليمات أو خرقها ليس لها علاقة بهذا الحب. الحقيقة السابقة لا تقلل من أهمية الحب المشروط، بيد أنه لا بد من البراعة في استخدامه، وإحداث توازن بين «أحبك لأنني أحبك» و«أحبك لأنك تقوم بهذا السلوك».

والحب غير المشروط يمكن أن يتجلى في عديد من المواقف، ومنها:

1 - التعبير بين وقت وآخر عن حب الطفل، وإشعاره دائمًا بأنه موضع حب وترحيب.

2 - العفو عن زلاته، فذلك يترك في نفس الطفل أثرًا جميلًا، ويصلح من سلوكه أكثر من العقاب المعنوي والحسي.



في هذا المعنى يقص علينا أحمد لطفي السيد (1872 - 1963) أنه حينما كان في العاشرة من عمره، اشترى له والده حصاناً، ولم يكن الحصان يألف رؤية القطار، وذات يوم خالف نصيحة والده بالابتعاد عن السكة الحديدية، وفاجأه القطار، فوثب الحصان وقذف بالطفل، وذعر أهله لما وصل الحصان وحده إلى القرية، وعندما جيء به إلى والده خائفاً يترقب متوقفاً «علقة ساخنة»، إذ بوالده يربت على كتفه قائلاً: «لا تخالف أمري يا ولدي، ولا تسر مرة أخرى على السكة الحديد». يقول لطفي السيد: «فأثر ذلك في نفسي، وازددت إعجاباً به وحباً له».

3 - الوقوف بجوار الطفل في المواقف الصعبة، فقد يتعثر في مادة دراسية، أو يدخل في شجار مع أحد أبناء الجيران، ويكون هو المعتدي، وقد يُضيع مبلغاً من المال. في كل هذه الحالات يشعر بالخوف الشديد، والضعف والإحباط. رد الفعل الأولي لدى كثير من الآباء والأمهات هو الضرب والتأنيب، لكنهم بهذا يزيدون الطين بلة، أما المربي الواعي، فإنه يقف بجوار طفله، ويحاول التخفيف من آلامه، وبعد أن تهدأ العاصفة يفتحه ويحاول أن يعالج الخلل.



4 - سرعة إنهاء الشجار والخلاف بين الوالدين والأبناء، فلا تدع صغيرك ينام إلا في حالة من الرضا والطمأنينة والسرور، فينسب في جسمه هرمون الميلاتونين «Melatonin» المسئول عن ضبط الساعة البيولوجية للإنسان، واستمتاعه بنوم عميق، ومقاومة اضطرابات النوم، وتقوية الجهاز المناعي، فيستيقظ نشيطاً، يستمتع بإشراقه شمس يوم جديد يضيف إلى رصيده مزيداً من النجاح.

إشراقة:

«الحب هو هذه الحالة التي تصبح فيها سعادة شخص آخر ضرورية لك».

(روبرت هينلين)



عبر عن حبك لأسرتك قبل فوات الأوان

المال أحد أسباب السعادة، وطعم النجاح حلو المذاق، يدفعنا بقوة نحو مزيد من الترقى، لكن يجب ألا يكون نجاحنا على حساب أسرتنا وأولادنا، فنؤجل سعادتنا الأسرية بدعوى إضافة مزيد من الرصيد إلى حسابنا البنكي، ولو قلنا إن هذا لتأمين مستقبل الأطفال، أو نؤجل سعادتنا الأسرية بدعوى صعود مزيد من الدرجات في سلم النجاح الوظيفي، ثم ندرك أن قطار السعادة قد رحل بعد فوات الأوان.

في ذلك الصباح من الشتاء غابت الشمس بدفئتها عن المدينة، وتجمعت السحب تنذر الجميع بعاصفة ممطرة، لكن الزوج قرر أن يستقل سيارته، ويذهب إلى مكتبه قبل هبوب العاصفة، وما إن خرج حتى ثارت الرياح، وأرعدت السماء، وقذفت السحب ما في جوفها من ماء. أوقف الزوج محرك سيارته، هل يغامر ويستمر في طريقه إلى عمله الذي يعشقه؟ أم يعود إلى بيته ويستمتع بالدفء الأسري الذي حرم منه نفسه لسنوات؟



ألقى نظرة من حوله، فوجد الجميع يعاودون أدراجهم، فقرر أن يعود، وطرق الباب، ففتحت له زوجته، وتجمع حوله أبناؤه، تتراقص الفرحة في أعينهم، فقد كانوا قلقين منذ خروج الأب وسط الأمطار والعواصف، وكانت عودته فرصة ليستدفئوا بالجو الأسري.

على مقعد بالقرب من المدفئة جلس الزوج، جاءته الزوجة بمشروب ساخن، وجلس الاثنان يتحدثان، وقد تعلقت عين الزوج على وجه زوجته، وفجأة تسللت يده، وتلمّس أنامل رفيقة عمره، وقال لها وقد ضغط على يديها: «لا أدري ماذا حل بي اليوم، ولكنني أشعر أنني أريد أن أقول لك إنني سعيد بك، سعيد بيتي وسعيد بأطفالنا. إنني أحبك يا عزيزتي. ولو عادت عقارب الزمن إلى الوراء، إلى اليوم الذي قابلتك فيه أول مرة واخترتك زوجة لي، لما فعلت غير ما فعلت، إنني لا أستطيع أن أتصور رجلاً أسعد حالاً مني في هذا العالم الواسع».

نظرت الزوجة إلى عينيه، فوجدتها يلمعان بهريق صادق غريب لم تره من قبل. ما الذي حل به اليوم ليقول تلك الكلمات؟ منذ زواجنا منذ خمسة عشر عاماً وقد أخذه العمل من بيتي، لا يعود إليه إلا مرهقاً مكدوداً يطلب



الراحة لجسمه، لا يجلس مع أطفاله إلا لمامًا.

وكأنه يريد أن يجرم نفسه من متعة الحب والسعادة التي تسربت إلى نفسه للحظات، فقرر أن يغادر المنزل بعدما هدأت العاصفة وتوقف المطر. من شرفة البيت وقفت زوجته تودعه طالبة منه الاحتراس من أخطار الطريق. ولم يعد الزوج مساء ذلك اليوم.

وبعد أسبوع من البحث المضني وجدوا سيارته وقد جرفتها السيول إلى بطن الجبل.

تلك القصة المؤلمة التي رواها لنا الفيلسوف الأمريكي «إيمرسون»، ماذا تعني؟ هل الحياة التي عاشها ذلك الزوج المسكين هي التي نسعى إليها؟ نهروا صباحًا ومساءً وراء المال والعمل ونقنع أنفسنا واهمين أن في المال تأمين حياة الأسرة ومستقبل الأطفال، ونغفل عن الاستمتاع ببيتنا؟ بالزوجة الجميلة التي تعيش معنا؟ بالأطفال وابتساماتهم وشقاوتهم؟ كل ذلك نؤجله يومًا بعد يوم بدعوى أن ما نجمعه اليوم سيكون ذخيرًا للمستقبل.

لكن الحياة ليست ذلك. يقول إيمرسون: «كثيرون منا يمضون في طريق الحياة، دون أن يدركوا المعنى الحقيقي للحياة، المعنى الذي غاب عن أذهان العديد من البشر،



إنه عمرنا على هذه الأرض، إنه الدقائق والساعات والأيام والسنون التي نقضيها قبل أن نرحل عن هذه الدنيا، ومن أجل هذا فلا بد لنا أن نفيد ونستفيد من كل لحظة من لحظات حياتنا، لا بد لنا أن نشعر أننا أحياء، وأن نُشعر من حولنا بقيمة الحياة وثمرتها، ولكن قليلين هم الذين يفعلون ذلك، وأقل منهم من يدرك المعنى الحقيقي للحياة».

الزوج المسكين لم يكتشف معنى الحياة إلا عندما أحس بدنو أجله. كان يمكنه أن يجلس في صفاء مع زوجته، ويتبادلان ذلك الحديث الدافئ طوال خمسة عشر عامًا. كان يستطيع أن يستمتع بالنعمة التي حباه الله بها، بأنه جعله أبًا لأطفال صغار. كان يستطيع أن يردد على مسامع زوجته تلك الكلمات الحلوة كلما كانت هناك مناسبة لأن يقولها، ولكنه أراد أن يؤجل كل ذلك، حتى لم يعد في العمر بقية.

عبد الكريم بكار يخبرنا بأن: «أسوأ ما يمكن أن نقع فيه معشر الآباء هو إضاعة أعمارنا وبذل جهودنا في غير المجال الذي ينبغي أن نكون فيه، فنكون بذلك كالتائر الذي يبيض في غير عشه».

فلا تضع عمرك في العمل والصفقات والأرباح، مهملاً لبيتك وأسرتك، واهمًا نفسك بأن تلك تضحية منك، ثم



تفاجأ بأن أولادك قد ضاعوا منك.

الكاتب «فنسنت بيل» في كتابه (استمتع بحياتك طول العمر) يكشف لنا الغطاء عن الحياة الحقيقية بقوله: «إنها المشاعر التي يحس بها الإنسان نحو أسرته وأصدقائه وكل الذين عرفوه، ثم ترجمة هذه المشاعر في الوقت الملائم، وقبل فوات الأوان».

جاء في السيرة النبوية أن رجلاً كان يجلس مع رسول الله ﷺ، فمر عليهما رجل آخر، فقال الجالس مع رسول الله: إني أحب فلاناً في الله. قال له ﷺ: هل أخبرته أنك تحبه؟

تقول إن حياتك كلها عمل وكد وكفاح؟ فانظر إلى الحبيب ﷺ - وهو من هو - في انشغاله بالدعوة وبناء الأمة الإسلامية، يمرح ويلعب مع الحسن والحسين، يمشي على يديه وركبتيه، فيتعلقان به من الجانبين، فيمشي بهما وهو يقول: «نعم الجممل جملكما، ونعم العدلان أنتما».

فلا تؤجل سعادتك مع أطفالك، واستمتع بحياتك، بكل لحظة فيها وكل ساعة، وقبل فوات الأوان، قل لمن تحب: أحبك.. وأخرج مشاعرك من ذلك الجب العميق الذي تحبها فيه. فالمشاعر خلقت لتتطوق لا لتكبت.



إشراقة:

«إننا نتعلم بعد فوات الأوان أن قيمة الحياة في أن
نحياها.. نحيا كل يوم منها وكل ساعة».

(كريم الشاذلي)



أرجوك أبي، لا تختلف مع ماما

إنشاء بيت جديد يحتاج إلى تعاون بين المهندس والفنيين والعمال، ليجمع بين الجمال والصلابة، ويصلح لكي فيه أناس لسنوات مديدة. كذلك تربية الطفل تحتاج إلى الإحساس المتوازن بالمسؤولية بين الأبوين.

تربية الأبناء سفينة تعبر بحر الحياة، تمتد جولاتها عبر البحار والمحيطات لقراية العشرين عاماً، مرة تداعبها الأمواج، ومرة تقابلها أنواء غاضبة ورياح عاصفة، فإذا تعاون طاقمها نجت، وإذا تشاجروا ترنحت وغاصت إلى ظلمات القاع.

وتعاون الأب والأم سويًا في تربية الأطفال يعني ألا يقفا موقفًا يتبادلان فيه الاتهامات، فالجو المشحون بموجات التوتر والعصية يجعل البيت قابلاً للاحتراق في أي نوبة غضب عاتية، آيلاً للسقوط، فينشأ الطفل تعيسًا، فاقداً للثقة في المستقبل.



فها هو والده الذي أحب أمه لسنوات طوال، يقعان في مشاكل تحيل عشهما إلى جحيم تفرع منه طيور السعادة. وتنطبع تلك الصورة في نفس الصغير، وتولد لديه قناعه بأن التناحر والتشاجر بين الزوجين هو الطبيعي، وعندما يكبر ويتزوج يحاول أن يطبق هذا النموذج في بيته.

يقول الدكتور «بنجامين سبوك» في كتاب (تربية الأبناء في الزمن الصعب): إن الطفل يكون فكرته عن نفسه وعن الجنس الآخر من التعامل اليومي بين الأب والأم، فإن كان الوالد كثير المعارك مع الأم، ويفتعل تحقير رأيا، فإن الابن يعتبر أن ذلك الاحتقار هو أسلوب التعامل العاطفي مع المرأة. والبنت التي ترى أن أمها كثيرة التعالي على الأب، وتسيء معاملته، يستقر في وجدانها أن التعامل مع الرجل مفتاحه التعالي وإساءة المعاملة.

أما البيت الذي تصفو سماؤه من الغيوم، فإنه يعطي الفرصة لشمس الحب أن تذيب كل قطعة جليد تحاول أن تتسلل في ظلام الخصام، فيغرس ذلك شجرة الأمان والطمأنينة في قلب الصغير، وتصبح مهمة الأب والأم سهلة في تقويم السلوك.



ولا يعني هذا أن يصبح الآباء والأمهات ملائكة نورانية، لا يقع بينهما شقاق أو عتاب أو خلاف، فهذا أمر لا يمكن أن يتحقق في عالم البشر، وبيت النبي ﷺ نفسه طرقت أبوابه المشاكل فترات من الزمن.

إنما معناه أنهما يعودان سريعاً إلى الله ويستغفرانه، وأن تكون أوقات الصفاء طويلة ودائمة، وأوقات التشاحن قصيرة، ويعلمان أن للخلاف آداباً، ومنها ألا يحاول أحدهما استشارة الآخر، وأن يبذل كل منهما جهده في امتصاص غضب رفيقه في رحلة الحياة، ساعياً إلى تأجيل المناقشة لوقت تكون فيه الأعصاب قد بردت، وصفوا الجو من الغيوم.

الكاتبة الأمريكية «أجنس دي ميل» تخبرنا عن أمها، فتقول: «حيرتني أمي، حتى في الخلافات الزوجية لم يكن صوتها يرتفع، فهي تعلمت أن تغضب في صمت، لقد حيرتني أمي وأنا أراها كل يوم يثور فيها أبي ويغضب، كنت أتطلع إلى وجهها فأجده هادئاً مبتسماً».

ويومًا ما أرادت أن تكتشف سر هدوئها، فسألتها: أمي، أنتِ لا تعرفين الغضب؟

أضاعت الابتسامة وجه الأم، وضمت صغيرتها، وهمست في أذنيها: أنا بشر يا ابنتي، ولكن ما الذي سأجنيه إذا انفجرت أنا الأخرى في وجهه؟



بهذا المنطق البسيط واجهت الأم ثورات الأب، وحافظت على سماء بيتها صافية، تشرق فيها شمس ابتسامتها.

فالغضب لا يجني صاحبه إلا الشوك، ونثر نيرانه على المقربين منه، والوقوع في أسر ردود الفعل العشوائية، بينما الهدوء يجعلك دائماً في الموقف الأقوى بعدما تنقشع سحب الغضب من سماء شريك حياتك.

ومن الأمور الهامة أن يتفاهم الزوجان ويتوافقا على الأسلوب التربوي، صحيح أن التفاهم الكامل كما تحدثنا غير ممكن ولا مطلوب، لكن لا يصح في أي حال من الأحوال أن يتمكن الأطفال من شق صف الأبوين، وتحويلهما إلى شخصين متناحرين.

وعندما يختلف الآباء والأمهات حول طريقة ما لتربية الطفل، فيجب ألا يُظهرا خلافهما أمام طفلهما، وعليهما أن يؤجلا النقاش، حتى يدخلوا غرفتهما، ويعقدا اجتماعاً بعيداً عن عدسات الأطفال الفضوليين، ليتناقشا سوياً في الطريقة المثلى لمعالجة الموقف، ثم يخرجوا، ويعلنوا رأيهما الموحد عندما يتكرر هذا الموقف.

وحتى عندما يسرف أحد الوالدين في العقاب، لا يجب على الطرف الثاني أن يسفه من طريقته في التربية، أو يقف



مكتوف اليدين بدعوى الظهور متفقين أمام الطفل، والأفضل هنا أن يتدخل بحنكة، بأن يأخذ الصغير بعيداً ويخاطبه معاتباً: انظر كيف أغضبت والدك أو أمك؟ فينجو بالطفل من العقاب الزائد، دون أن يظهر عدم رضاه على هذا العقاب.

فالاختلاف بين الزوجين يمكن أن يدمر البيت ويقوض دعائمه، بينما الاحترام المتبادل والتفاهم والتسامح هم أعظم هدايا يقدمها الأبوان لصغارهما، فهل تبخلان بتلك الهدايا؟



إشراقة:

«التسامح هو الذي يعطي للصواب قوته وقدراته على الامتداد وتحقيق النصر».

(رجاء النقاش)





لا تجعل ابنك ملعباً لكرة القلق الزائد

من الطبيعي أن نحب أولادنا، لكن الخطر أن يتحول هذا الحب إلى سلاسل تقييد حرية الطفل في تصرفاته وأفعاله، فينشأ الطفل متواكلاً، يرهب التجربة، يخاف الفشل إذا بدأ عملاً ما، يرى في كل جديد خطراً يتربص به.

الفيلسوف «جان جاك روسو» (1712 - 1778) كتب يوماً: «يولد الإنسان حرّاً، ولكننا محاطون بالقيود في كل مكان». لكننا إن أردنا الدقة لوجدنا أن تلك القيود ربما تبدأ مع ميلاد الطفل، نقل بصرك يمناً أو يسرة، فستجد أمهات يحطن بأبنائهن بقائمة طويلة من التعليمات والتنبهات، فلا يذهب إلى الحضانة إلا في حراستها، تنتقي له أصدقاءه، نوع الملابس، الطعام الذي يتناوله، تخطط له مستقبله، تحلم بدلاً منه. هذا القلق الزائد يسري كالسهم إلى الطفل، فيشرب قلقاً، خائفاً، متوجساً من كل تجربة، من كل خطوة يخطوها، متردداً، يكاد قلبه يهرب من صدره كلما وضعت الحياة موضع اختبار.



«بريد الجمعة» للراحل المبدع «عبد الوهاب مطاوع» (1940 - 2004) يذخر بنماذج من الأبناء الذين شبوا معتمدين على أمهاتهم، وحينما تزوجوا وجدوا أنفسهم غير قادرين على قيادة سفينة حياتهم الجديدة، لهذا يسرعون إلى عشمهم الأول، يطلبون الرأي والمشورة في كل أمر، مهما قل شأنه وصغر، وهو أمر يثير غضب الزوجات، وتكون النتيجة المحتومة تعثر السفينة، أو تحطمها مع كثرة العواصف التي تعترض طريقها.

وماذا تأملين عزيزتي الأم من طفل تتخذين له كل قراراته؟
ألن يكون ريشة في مهب الريح تحركه كيفما شاءت؟ ألن يكون كشجرة اللباب لا تنمو إلا بالاستناد على غيرها؟
فهل هذا ما تتمنين لابنك؟

أطفالنا يحتاجون إلى الحرية، وجرعتها لا بد أن تزيد كلما تقدموا في العمر.

في كتابه (القواعد العشر في تربية الأبناء) يقول الدكتور «عبد الكريم بكار»:

«إن الأبناء حين يكونون صغارًا فإنهم يحتاجون إلى توجيه دائم في كل شيء، ويحتاجون إلى الشعور بأن في البيت سُلطة تعرف ما يصلحهم، وكلما كبر الأولاد وتحسن وعيهم، فإننا



نخفف سيطرتنا عليهم تدريجيًا، ونعطيهم مساحة أوسع للحركة والاختيار، فإذا دخلوا في مرحلة المراهقة خففنا سلطتنا وسيطرتنا أكثر فأكثر، فإذا دخلوا الجامعة صرنا نعاملهم في معظم الأحيان على أنهم أصدقاء أعضاء، ويتسع دور المرشد الناصح الذي يقول ما يعتقد، ويترك للأبناء مسألة اتخاذ القرار».

وكلما أشرقت الشمس، وكتبت سطرًا جديدًا في كتاب حياتهم، شعر الأطفال بالحاجة إلى أن يخوضوا صراعًا مع أنفسهم، ومع الآخرين، لكي يظهروا بمظهر الكبار الذين يعرفون كل شيء، ويقومون بكل شيء.

إنهم يستطيعون أن يجدوا طريقهم في دروب الحياة، دون أن يضطروا إلى الالتجاء إلى النصائح المباشرة للوالدين.

يروى الدكتور «توماس بيل» أستاذ علم النفس أنه جلس يومًا يستمع إلى شكوى أم جاءت إليه مع ابنها الذي لم يكمل بعد عامه الرابع عشر. يقول: «كانت الأم قلقة متوترة الأعصاب، تتحدث في عصبية ظاهرة، وهي تشكو سوء تصرفات ابنها ومعاملته لها، فهو لا يريد أن يستمع إلى نصائحها. يهرب منها، ويهرب من نفسه، ومن الناس».



ويكمل الطيب النفساني: ما حدث في الدقائق القليلة التالية كان كافياً لأن يفسر لي شر المشكلة بين الأم وابنها، فقد عطس الصبي عطسة قوية، فهبت الأم من مقعدها، ومدت يدها تربت على كتفه في حنان: «هل أصبت ببرد؟ دعني أرَ وجهك وعينيك. يجب أن نعود حالاً إلى البيت. لا بد أن تستريح في الفراش». ولم ينطق الابن بكلمة، كل ما فعله أن مد يده في هدوء ليعبد أمه عنه، قائلاً: «لستُ مريضاً، ولستُ في حاجة إلى الراحة كما تتصورين، أرجوكِ أن تتركيني وشأني».

يقول «الدكتور توماس»: «لم أكن في حاجة بعد ذلك لأدرك الأسباب الحقيقية وراء تصرفات الابن، إن لهفتها عليه هي السبب، إنه يكره أن يرى أمه تعامله كما كانت تفعل وهو طفل صغير، لقد كبر الآن، هو يريد أن يشعر بشيء من الاستقلال، ولكنها ترفض أن تتركه يغيب عن عينيها لحظة واحدة، ترقب كل حركاته وسكناته منذ اللحظة التي يصحو فيها من نومه في الصباح، وحتى يذهب إلى فراشه في المساء».

صحيح أننا لا يمكننا أن نلوم أي أم على مشاعرنا نحو أبنائنا ولهفتها عليهم، ولكن الذي يجب أن نعرفه هنا أنها تستطيع أن تضع صغارها داخل عينيها، دون أن تجعلهم يشعرون أنها تسيطر على حياتهم، وتتدخل في كل صغيرة وكبيرة.



لنجعل حرية الأطفال هي الأصل، والتدخل هو الاستثنائي، لنمنحهم الثقة في مواجهة العالم، لندهم يخوضون غمار الحياة بأنفسهم، ونراقبهم كيف يتصرفون، فإذا تعثروا أخذنا بأيديهم، لا أن نظل متشبثين بأيديهم في كل مراحل حياتهم.

لنتركهم يتسلقوا الجبل وحدهم، قد يبدو أنهم سيسقطون ما لم نمد لهم يد العون، لكن لندهم يحاولوا، فإن من لا يحاول لا يتعلم، ولنراقبهم من بعيد، ودون أن يشعروا، فلا نحاصرهم بوجودنا في كل دقيقة من حياتهم.

الأبطال والقادة لا يمكن أن يُربوا على أسرّة من ريش. فالحياة كد وكدح، من أجل تحقيق الفوز بالدنيا، والفلاح في الآخرة، والمدللون لا يقدرّون على مشاقها ويتساقطون أمام اختباراتها.



إشراقة:

«رؤية الكبار شجعاناً هي وحدها التي تُخرج الصغار شجعاناً، ولا طريقة غير هذه في تربية شجاعة الأمة».
(مصطفى صادق الرافعي)



العقاب المستمر والتدليل الزائد

في أول مارس 1954 طوى الموت صفحة الزعيم السوفيتي ستالين، بعدما حكم بلاده بالحديد والنار لمدة 31 عاماً، سحق خلالها كل من همس بمعارضته، ووصل عدد قتلاه إلى 50 مليوناً، حتى إنه كان يقول باستهانة: «موت إنسان مأساة، أما موت الملايين مجرد إحصائية».

القارئ لسيرة جزار الاتحاد السوفيتي يدرك أن تلك القسوة غرست أشواكها في نفسه بعدما عاش طفولة قاسية مع والده الذي أذمن ضربه، سواء أخطأ أم فعل الصواب، فإذا هرب الصغير إلى حضن أمه وجدها تصب عليه اللعنات بأن الله ابتلاها بهذا الزوج السكير، فنشأ ستالين قاسياً مستهيناً بالعواطف، لا تطرق قلبه رحمة أو شفقة.

قد يقول بعضنا إنه يقسو على الصغار بهدف دفعهم إلى مزيد من النجاح والكد والاعتماد على أنفسهم، لكن تنبه، فالقسوة الزائدة قد تأتي برد فعل عكسي، فتذوي



أزهار الرحمة من قلب الصغير، ويتخذ من الحرباء معلماً ومرشداً، فيلجأ إلى الخداع والكذب ليبرر سلوكياته، وتنبت في روحه أشواك الكراهية لوالديه، فيدمر ذلك القاعدة التي يبني عليها في المستقبل القيم والمثل والمبادئ، فلماذا يكون عادلاً ووالده مثال الظلم؟ ولماذا يكون صالحاً ووالده مثال الاستبداد؟
عمر بن الخطاب كان من أشد المشركين أذى للمسلمين، وقد ورث هذه الغلظة من والده الذي كان يتركه في حر شعاب مكة يرعى الإبل لعائلته، ويقسو عليه دائماً في المعاملة.
كتب التاريخ تجربنا بأن غالبية الحكام القساة عاشوا طفولة قاسية، عاملهم آباؤهم وأمهاتهم بقسوة وغلظة، فمارسوها على شعوبهم.

فالديكتاتور النازي أدولف هتلر (1889 - 1945) عانى من جبروت والده الذي اعتاد ضربه بالسوط على ظهره، وبمنتهى القسوة.

والزعيم الصيني ماو تسي تونج (1893 - 1976) قال لجلاديه وهو يستمتع بالعذاب الذي يصبونه على خصومه السياسيين: «لقد كان أبي سيئاً، ولو كان حياً الآن لوجب جلده».



إحصائيات الجريمة تشير أيضًا إلى أن عددًا كبيرًا من عتاة الإجرام انتموا إلى بيوت لم تعرف إلا القسوة قانونًا تربويًا.

ومثل القسوة الزائدة، يحمل التدليل المفرط نفس التأثير المدمر، فالمدلل الذي يحظى دائمًا بعطف والديه، يشجعه ذلك على المخالفة، طالما آمن العقوبة، غير شاعر بالمسؤولية، غير مكترث بحقوق الآخرين

القسوة تولد بداخل الطفل عديدًا من الصراعات، والتي يحاول أن يحلها من خلال

الأعراض الخارجية التي تظهر في كلامه على شكل تلغثم أو تهتهة أو فأفة أو وأوة. كذلك التدليل الزائد يجعل الطفل ينطق الحروف والكلمات على غير شكلها الصحيح، وخاصة إذا لمح في عيون الأب والأم السرور والاستحسان.

من كتاب (أخطاء يقع فيها الآباء)

معتقدًا أن كل شيء مباح، وليس هناك أي محاذير أو ضوابط.

وأول من يكتوي بنيران التدليل الأسرة، فالصغير يتحول إلى ديكتاتور، يتسلط عليها، ويصدر فرمانات يرى أنها واجبة التنفيذ على الفور.

ويؤثر التدليل على علاقات الطفل بأقرانه، فالعاطفة الفياضة التي تسكبها عليه الأسرة تشكل حاجزًا بينه وبين مصادقة الأطفال



الآخرين، حيث يشعر بتشبع شديد من عاطفة الأسرة، مما ينمي داخله الشعور بالوحدة والانطواء.

تلك الحقائق تؤكد عليها سلوى المؤيد في كتابها (ابني، لا يكفي أن أحبك)، إذ تقول إن التدليل ليس إلا سوس ينخر في شخصية أبنائنا، وتضيف:

«لا يعني حبنا لأبنائنا أن نلبي لهم كل رغباتهم، فهذا النوع من الحب لا يبني شخصية الطفل بطريقة إيجابية، إنما يجعله أنانياً، لا يكون سعيداً إلا بتملك الأشياء، ويكون الآخرون

في خدمته، وقد يدفعه هذا إلى السرقة عندما يكبر، ولا يستطيع الحصول على ما يتمنى».

التدليل يؤخر نمو الأطفال، إذ أكدت دراسة صينية أن نحو ثمانية من عشرة أطفال ممن تتراوح أعمارهم بين 9 و12 شهراً يعتمدون على الآباء في إطعامهم، وارتفع كذلك معدل زيارة الطبيب.

دراسة أجرتها الجامعة الصينية في هونج كونج، وشملت أكثر من 1100 أسرة.

صحيح أن الطفل يحتاج إلى الحب، لكن الزيادة في التدليل تؤدي إلى ضعف بنية الطفل النفسية، فلا ينشأ معتمداً على نفسه، بل يكون كشجرة اللبالب، لا تنمو إلا بالاستناد إلى دعامة تتسلق عليها، وبدونها تذبل وتموت،



وظروف الحياة لا تسمح لنا بذلك، والمدللون لا يقدرّون على الكد والكدح.

التدليل والحسم يحتاجان إذن إلى ضبط وتوازن.

فالمربي الناجح يحتاج إلى الحزم في المواقف التي تستلزم الحزم، والرفق في المواقف التي تستدعي الرفق.

القرآن الكريم ينبهنا إلى تلك الحقيقة: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾. (آل عمران، الآية 159)

واللين ليس معناه ترك الحبل على الغارب.

والحزم لا يعني أبداً الفظاظة والغلظة.

والضمان الأول لتحقيق هذا التوازن هو: الحب. فطالما أن الطفل لم يشعر أن مربيّه يحبه، ويجب له الخير، فلن يقبل على التلقّي منه، حتى ولو أيقن أنه لن يجد الخير إلا عنده، وأي خير يمكن أن يأتي بغير حب؟



إشراقة:

«القسوة في تربية الولد تحمله على التمرد، والدلال في تربيته يعلمه الانحلال، وفي أحضان كليهما تنمو الجريمة».

(مصطفى السباعي)



للخطأ وجهان.. عدم إتباع إستراتيجية النفس الطويل

من منا لا يخطئ؟

بالتأكيد الكل يخطئ.

إذن، فلماذا تقوم الدنيا ولا

تقعد عندما يخطئ الطفل؟

هل لأنه يكرر خطأه؟

الغالبية من الآباء والأمهات تتوقع أنه فور إعطاء الطفل تعليمات وتنبهات حول ما ينبغي القيام به وما يجب تجنبه، تكون مهمتهم قد انتهت، وأن على الطفل بعدها أن يتصرف بحكمة الكبار، ورزانة الشيوخ،

وعبقرية الأذكىاء. وإذا أخطأ، فالويل له، كل الويل، يكيل له الأب والأم الصراخ، وينال من العقاب ألواناً.

الخطوة الأولى لعلاج هذا الأمر أن يدرك الآباء والأمهات طبيعة مرحلة الطفولة، فعلماء التربية يؤكدون أن وقوع الطفل في الخطأ وتكرار الخطأ أمر طبيعي، فالطفل مرآة لما يحيط به، فهو يقلد عالم الكبار، بكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات، وما ذنبه إذا التقط فعلاً سيئاً من أحد المحيطين به؟



كما أن الطفل يحب المغامرة والتجربة والاكتشاف، يجب أن يجرب كل شيء بنفسه، وهو في كل ذلك عرضة للوقوع في الخطأ وارتكاب حماقات.

الأهم أن يعي الآباء والأمهات أن تقويم سلوك الابن لا يمكن أن يتم بين يوم وليلة، وأن مشكلات الأطفال تحتاج إلى برنامج علاجي طويل، فالطفل الذي يعاني من داء «حب تملك الأشياء» لا يمكن علاجه بمجموعة من الأوامر والتعليمات، والطفل الذي يدمن الكذب لا يمكن ردعه بتخويله أن الكذاب يدخل النار. كذلك الطفل الذي يعاني من التبول في أثناء النوم، أو يكثر من قول «لا»، وغيرها وغيرها من المشكلات التي تحتاج إلى الصبر وإتباع «إستراتيجية النفس الطويل».

ذلك الأمر لا يخص فقط عالم الطفولة، وإنما يضم بين صفتيه كل العوامل المهمة بشأن التعليم وتعديل السلوك وتغيير الاتجاهات والمعتقدات، فلا بد من النفس الطويل، والتدرج في معالجة الداء، لنصل إلى الشفاء الذي لا انتكاس بعده.

رسول الله ﷺ لكي ينشئ أمة تستحق وصف خالقها «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» استغرق في تربيته للرعيّل الأول ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، وإحدى عشرة سنة في المدينة المنورة.



وفي رحلة الأمة، كانت تكبو أحيانًا، كما كتبت في يوم «أحد»، ويوم «حنين»، لكنها سرعان ما تستفيق من كبوتها، لتصعد إلى قمة جديدة من قمم البشرية.

وفي مدرسة رسول الله للتربية استخدم التدرج في معالجة سلبيات المجتمع.

المثال الشهير في هذا: تحريم الخمر. إذ مر بثلاث مراحل:

الأولى في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219]، فنبهت الآية إلى خطورة الخمر، وأن نفعها أقل من ضررها.

والثانية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43]، وتلك الآية أشد من الأولى، إذ إن الصلوات تشمل اليوم كله، فكان على المؤمن الامتناع عن تناولها طوال النهار، وبوقت كاف قبل صلاة الفجر.

وأخيرًا جاءت آية التحريم القاطعة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: 90].



فإذا أخطأ الطفل، ومهما تكرر خطؤه، فلا تنفعل ولا تغضب، لأنك لو فعلت هذا عمقت فيه الشعور بالفشل، وإنما تبسم في وجهه، وعلمه كيف يتجنب مواقع الزلل، فالحياة بحر مليء بالتجارب المتوقعة وغير المتوقعة، وكلنا فيها مثل اللاعب الذي يزوده مدربه بالتعليمات والخطط ليحقق الفوز، لكنه حينما ينزل أرض الملعب فقد يجد ظروفًا مختلفة، وقد يخسر، لكن الأكثر جدوى أن يدرس ما وقع فيه من أخطاء، ليكون أقوى وأفضل في المباراة القادمة.

الدكتور خالد النجار في كتابه (أحسن مربي) يشير إلى حقيقة هامة حينما يقول: «من المناسب أن ندخل في ثقافة أبنائنا أن الخطأ له وجه إيجابي، فهم يتعلمون من أخطائهم أضعاف ما يتعلمونه من صواباتهم، المهم كيف أستفيد من رصيد أخطائي، فهو الرصيد الوحيد الذي لا يراد له أن يزداد».

الكلمات السابقة تطرق عقولنا بقوة لنتبّه إلى أن الخطأ دائماً ما يحمل وجهين: وجهًا قبيحًا يذكرنا بخسارتنا، ووجهًا إيجابيًا يضيف إلى تجاربنا الحياتية رصيدًا جديدًا.

وإذا كانت نصائحنا تذهب مع رياح النسيان، فإن التجارب التي يخوضها الطفل تظل عالقة ومحفورة في أعماق ذاكراته.



ولنتذكر أن المخترع الأمريكي «توماس إديسون» استخدم 999 طريقة لاختراع المصباح الكهربائي، لكنه لم ييأس، ولم يصف تلك المحاولات بالفاشلة، وإنما قال: لقد أثبت أن هناك 999 طريقة لا تؤدي إلى اختراع المصباح الكهربائي.



إشراقة:

«أما سمعت أن العصمة لله وحده؟ فعلام تتردد فيما

تقول وتعمل مخافة الوقوع في الخطأ؟»

(ميخائيل نعيمة)



الغضب والصراخ أثناء تعليم الأطفال

من الخطأ أن نعلم أولادنا الصواب والخطأ ونحن في ثورة غضب، فيكون التعليم مصحوبًا بالصراخ وعبوس الوجه والضرب، وأنسى للطفل أن يتعلم ونحن على تلك الحالة؟ أساليب التربية الحديثة تحذرننا من أن الصوت العالي يقطع تدفق المشاعر بين الآباء والأمهات والأطفال، كما تعترض الجنادل تدفق المياه.

من المقبول أن نكون بشرًا نغضب ونصرخ، لكن من غير المقبول أن نكون غير مسؤولين، خاصة إذا علمنا التأثير المدمر للصراخ والصوت العالي على الأطفال. في حالات كثيرة يكون الغضب والصراخ هو مشكلتنا، وليس نتيجة لتصرفات وأخطاء الصغار، فربما نغضب لأننا لم نحصل على كافيتنا من النوم، أو نعاني من ضغوط الحياة، أو لأننا نحمل في داخلنا جينات الصوت المرتفع، ولذلك علينا أن نبحث عن سبب غضبنا، ونبدأ في حل مشاكلنا نحن.



وقد تتسائل أم:

ولماذا التحكم في الغضب؟ ولماذا لا يعلم الأطفال بوضوح وبصوت عالٍ أن الخطأ الذي ارتكبه كان عظيمًا لدرجة أنه أثار أعصاب والديه واستدعى كل تلك الثورة؟ ألن يساعدهم ذلك على معرفة الصواب من الخطأ؟

الخبيرة التربوية «سارا رادكليف» ترد على هذا السؤال بقولها:

- الصراخ لا يحل مشكلة، بل يزيد نيرانها، فالخلافات والمشكلات يمكن حلها دون غضب. وحين تحافظ على هدوءك، وتسيطر على أعصابك، تصبح مثلاً أعلى لأبنائك في السيطرة على النفس.

- ثورة الغضب لن تأتي بنتيجة إيجابية لتحسين سلوك الطفل، إذ إنه قد يتعود أسلوب الأب والأم في استعمال الصراخ، ويواصل فعله الخاطيء. والدراسات العلمية تدل على وجود علاقة بين عصبية الأم أو الأب وكون الطفل مشاغبًا.

وقد يلجأ الابن إلى استخدام الصراخ لمقابلة غضب والديه، فالنار تقابلها النار، لهذا نجد المتشاجر ينرفعون أصواتهم، كل طرف يحاول رفع صوته بقدر أعلى من الثاني.



الغضب يساعد على تخفيف الضغوط على القلب! هذا الادعاء ثبت عدم صحته بعدما أكد الطب أن الغضب يزيد من عدد انقباضات القلب في الدقيقة الواحدة، فيضعف من كمية الدم التي يضخها إلى الأوعية الدموية مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وزيادة إفراز الأدرينالين.

وأثبتت الأبحاث أيضاً أن الغضب يولد اضطراباً هرمونياً خطيراً في الغدد الصماء يؤدي إلى تأرجح في التوازن الهرموني، مما يساعد على ظهور الخلايا السرطانية!

هذا الصراخ والصياح دليل على فشل المرء، وإعلان لإفلاسه الفكري تجاه طفله الذي ما زال إنساناً يتشكل ويتعلم.

أما اتباعنا «إستراتيجيات التحكم في الغضب»، فإنه يمنح أطفالنا المهارات التي تساعدهم على التعامل مع كافة ضغوط الحياة التي يمكن أن تعترض طريقهم؛ في البيت والشارع والمدرسة، أو أي مكان يمكن أن يتواجدوا فيه، وبالتالي تساعدهم على التمتع بالحياة والحفاظ على سلامتهم النفسية والعاطفية والجسدية.

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة، فقد كان أباً لثلاثة من البنين (القاسم، وعبد الله، وإبراهيم) وأربعة من البنات (زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة)،



ولم يُعرف عنه الغضب إلا عندما كانت تنتهك حرمة من حرّمات الله.

ويروي الشيخان عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في حجر النبي ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة (أي في أناء الطعام)، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

في هذا الموقف لم يغضب رسول الله، وإنما اكتفى بالقول اللين، والتوجيه السديد.

ثلاث نصائح علمها النبي للغلام: أن يذكر اسم الله قبل تناول الطعام، وأن يأكل بيده اليمنى، ويأكل من أمامه.

انظروا كيف أثرت كلمات النبي في نفس الغلام؟

يقول عمر: فما زالت تلك طعمتي بعد، أي من يوم أن أوصاني ﷺ بذلك.

لقد أثمر الإرشاد، وتغيرت طريقة الغلام في الطعام إلى ما شاء الله له أن يعيش.

والتوجيه بالصوت الهادئ يمكن أن يبدأ منذ ولادة الطفل.

نتائج الأبحاث تؤكد أن الطفل يستطيع استيعاب الكلام وتعبيرات الوجه حينما يمر عليه من الشهور ثمانية، ويمكن



للأم هنا أن تخلق لغة خاصة بينها وطفلها، بتعبيرات الوجه، والإشارات، ليعرف متى تكون راضية، ومتى تكون غاضبة على تصرفاته، فتأخذ بيده، وتعلمه الصواب من الخطأ. كل هذا دون الحاجة للجوء إلى العنف، والصراخ، والصوت العالي.

وينصحنا «محمد سعيد مرسي» في كتابه (أحسن مربّي في العالم) أن نتكلف الغضب، أي نتغاضب ولا نغضب، وبينها فارق شاسع، فالذي يستفزه الصغير ويغضب، قد يبالغ في العقاب، أي يكون عقابه أكبر من الخطأ الذي ارتكبه صغيره، ولا يسهل عليه الرجوع إن اعتذر الصغير معلناً العزم على عدم العودة لهذا الخطأ. أما إذا قام بتمثيل الغضب، فإنه يستطيع أن يضبط ردود أفعاله ولا يخرج عن حلمه، ويعاقب على قدر الخطأ، ويقبل اعتذار الصغير عما فعل.

فكن قوياً أمام أبنائك.

إذا وقع منك في الزحام فلا تصرخ في وجهه، فإن ذلك لن يجدي، وإنما ستدوسه الأقدام، بل مد له يدك لترفعه إليك.

إذا أخطأ، فواجهه بابتسامة صافية تزيل ما في نفسه من خوف وانفعالات محبطة، ثم أرشده إلى الصواب بهدوء، ليتعلم أن مواجهة الصعاب لا تكون بالصراخ، وإنما بالهدوء وإعمال العقل.



أخيراً.. يقدم لنا علماء النفس والتربية «استراتيجيات للتحكم في الغضب»:

1- سَمَّ شعورك. إذا استطعت فسَمَّ شعورك بصوت عال بمجرد معرفتك أنك متوتر، حتى وإن كان قد مضى وقت على شعورك بهذا. كأن تقول: «إنني في بداية الشعور بالإحباط». وإذا كان الغضب قد تملكك بالفعل دون الانتباه لدلالاته الأولى، فلتَسَمَّه أيضاً. فإذا أغضبك فعل من طفلك فمن الأفضل استخدام عبارات مثل «محبط»، «متوتر»، «قلق»، ولا تقل «متوتر منك»، لأن لفظ «منك» يجعل الطفل يشعر بأن والده غاضب منه كشخص، وليس غاضباً من السلوك الذي ارتكبه.

2 - اتخذ عدة خطوات لتعود إلى هدوئك:

- غير من طريقة جلستك. رسولنا ﷺ يقول: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع». فالأجسام حينما تمتلكها نوبات الغضب ينتشر فيها الأدرينالين، وهنا يتخذ الجسم موقف الدفاع وحالات الطوارئ، ويسحب الأدرينالين كمية كبيرة من الدم والأوكسجين من



لحاء المخ (وهو الجزء الخاص بحل المشكلات)، ويتم ضخهما في العضلات التي تستخدم في أعمال القتال. وبسبب نقص الدم والأوكسجين من المخ يتفوه الأب والأم بكلمات في غاية الغباء، لم يتصوروا أن ينطقوها في يوم من الأيام.

• ولهذا ينبهنا رسول الله ﷺ إلى التزام الصمت وعدم الكلام في حالة الغضب، «إذا غضب أحدكم فليسكت»، للحيلولة دون الوقوع في بذيء الكلام. ومن الضروري حينما يغير الإنسان من جلسته أن يصرف ذهنه عن الأسباب التي دفعته للغضب، حتى لا تستمر النار مستعرة داخله.

• ضبط عملية التنفس. كأن نتنفس بهدوء، فالتنفس الهادئ يمدنا بالأوكسجين ويبطل مفعول الأدرينالين، ويعيد لنا الهدوء النفسي والعاطفي. وفي عملية التنفس من الضروري أن يكون الزفير أكبر من الشهيق. ويمكننا التحكم في ذلك بأن نعد إلى أربعة ببطء عند الشهيق، ونعد إلى 8 عند الزفير. نفعل ذلك لمدة دقيقة كاملة. عملية التنفس هذه بمعدل 1: 2 شهيق/ زفير تبطل استجابة الأدرينالين في أثناء الغضب.



• الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم. فالله سبحانه وتعالى يقول لنا في كتابه الكريم: ﴿وَمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (الأعراف: الآية 200)، وكثرة ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. (الرعد: الآية 28).

• الإسراع إلى الوضوء. فالغضب نار، تؤدي إلى فوران دم الإنسان وارتفاع درجة حرارة الجسم، والماء يطفىء النار، يقول رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

3 - بعد أن نجلس ونستعيد هدوءنا نبدأ في التفكير العقلاني لمعالجة الوضع. وذلك بوضع خطة، نحدد فيها مدى خطورة السلوك الذي ارتكبه الطفل، وهل يتطلب التدخل الفوري؟ أم أنه بالإمكان تأجيل ذلك لساعات أو أيام؟



إشراقة:

«لا تعتمد على خلق أحد حتى تجربه عند الغضب».

(عمر بن الخطاب)





الغضب لمواجهة الطفل غير المبالي

الغضب والصوت العالي
يقطع تدفق المشاعر بين
الآباء والأمهات وأطفالهم،
كما تقطع الجنادل والصخور
تدفق مياه النهر في رحلتها
إلى المصب.

تطلب مني يا سيدي أن
أتعامل بهدوء مع طفلي؟ وأدفن
أعصابي في ثلوج سيبيريا؟
سأفعل، ولكن انظر ماذا يفعل
معني هذا العفريت الصغير
الذي يمرح في البيت، أنادي
عليه فلا يجيبني إلا الصمت.

في المرة الثانية أنادي بلهجة أكثر حزمًا، فلا يعيرني
انتباهًا..

في المرة الثالثة أنادي بصوت أعلى..

ثم بنفاد صبر في المرة الرابعة..

أستمر في الطلب.. الخامسة.. السادسة..



الآن لم يعد بوسعي الاحتمال، فالدخان يملأ أذاني، والغضب يغلي كالمرجل في صدري، وحينما أغضب وأصبح يلتفت أخيراً، لكن بعد أن تعلّم ألا يستجيب حتى يملكني الغضب، ونوبات الهستيريا.

فما الحل لمواجهة هذا الطفل الذي يتبع إستراتيجية الصحراء البكاء؟ أناديه فلا يجيني إلا صوتي ونداءاتي. عزيزتي الأم، يمكنك وضع حد لتجاهل ابنك باتباع إستراتيجية من ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: إعطاء المعلومات أو توجيه الطلب.

فيها نعطي الطفل معلومات عن السلوك الصحيح، الذي يُفترض أن يقوم به، والسبب في كون هذا السلوك مقبولاً.

- فالطفل الذي يترك ملابسه بإهمال على أرضية غرفته نقول له: لا نترك الملابس على الأرض كي لا ندوس عليها بأقدامنا وتتلف. الملابس يجب أن تعلق على الشماعات، أو توضع في غسالة الملابس.

- والطفل الذي يضرب أشقائه تكون المعلومات المقدمة له: لا نؤذي الآخرين حينما لا يعجبنا سلوكهم، لأن من حق الجميع أن يعيش في البيت بأمان. استخدم الكلام بدلاً من الضرب.



• والطفل الذي اعتاد على الشتم: نحن لا نشتم الآخرين، لأن هذا يؤذي مشاعرهم. إذا لم يعجبنا سلوكهم فيمكننا أن نقول لهم هذا.

الخطوة الثانية: نكرر المعلومات أو الطلب، ثم نضيف تحذيرًا عن عاقبة عدم تنفيذ الطلب.

في حالة الطفل الذي يترك ملابسه على الأرض، بهدوء أعصاب تقول الأم: طلبت منك أمس ألا تترك ملابسك على الأرض كي لا تتلف، أريدك أن تضعها في الدولاب أو في غسالة الملابس. من الآن فصاعدًا إذا وجدت ملابسك على الأرض... وتحدد الأم نوعًا من العقاب الذي سيناله الطفل. (السطور القادمة تتحدث عن أنواع العقاب الملائمة).

الخطوة الثالثة: الوفاء بالوعد وتنفيذ العقوبة.

وهي أهم الخطوات وأكثرها خطورة، والسبب أن بعض الآباء والأمهات يتراجعون عن تنفيذ ما يهددون به، مشفقين على الطفل من العقوبة، ومشاعر الحرمان التي سيعانيها، غافلين عن أن عدم الوفاء بالعقاب يحمل عواقب وخيمة، أكبر بكثير من تلك المشاعر السلبية الوقائية التي تصيب الطفل.



عدم الوفاء يعني بيساطة تدمير برنامجنا التربوي، وضياع البوصلة التي نهتدي بها، وفقدان مصداقتنا، فلا يأخذ الطفل حديثنا وتهديداتنا بعدها على محمل الجد.

الأخطر أنه حينما نفشل في تنفيذ العقاب، نشعر بالهزيمة أمام الأطفال، واليأس من إصلاحهم، وقتها نفقد الاستمتاع بأطفالنا وحبهم، وبالتأكيد سيشعر الأطفال بذلك، ويتوهمون أننا لا نضعهم في المكانة اللائقة من زوايا قلوبنا، مما يؤثر على العلاقة العاطفية والوجدانية بين الأطفال والوالدين.

الخطوة الثالثة تعترضها إذن عديد من الجنادل والعقبات. وأشدها وعورة رفض بعض الآباء والأمهات للعقاب كوسيلة تربوية، وحثهم في هذا أنه منهج فاشل، وطريق بائس لتربية الأطفال، لأنه لا يجوز أن يفعل الأطفال شيئاً نتيجة الخوف، فيولد في أنفسهم كبتاً ويفسد شخصيتهم، الأصح أن يفعلوا ما يقتنعون أنه الصواب، لأنه الصواب.

محمد قطب في كتابه (منهج التربية الإسلامية) يرد على من يترك الأمور لاقتناع الطفل بقوله: «لا بأس أن يعلم الطفل حكمة أي تصرف أو سببه، أما تعليق تنفيذه للأمر على اقتناعه هو الشخصي فمفسدة للطفل، فضلاً عن مجافاته لأبسط مقتضيات المنطق، وإلا فما العمل حين تكون خبرة



الأرض كلها قد استقرت على أمر معين ولكن الطفل غير مقتنع به لأن خبرته المحدودة تعجز عن إدراك الحكمة فيه؟»⁽¹⁾

والصغار قد يعرفون الصواب ولا يفعلونه، تمامًا كالكبار الذين يدخنون السجائر مثلاً، رغم أنهم يحفظون صفحات كاملة من كتب الطب عن مخاطر التدخين. ومثلما نقود سياراتنا أحياناً بسرعات عالية، رغم علمنا بالمخاطر الكارثية لتجاوز السرعات المقررة.

فإذا كان الكبار يرتكبون أخطاء رغم إدراكهم لمخاطرها، فهل من الإنصاف أن نطلب من الصغار أن يكونوا أكثر نضجاً ونفترض أن يقوموا بالصواب لأنهم يفهمون أنه صواب؟ صحيح أن بعض الأطفال ينصاعون لأبائهم وأمهاتهم بمجرد تفسير الأمور لهم، لكن ماذا لو تمادى الطفل ورفض تنفيذ الطلب؟ هل نتركه لحرите حتى يقتنع؟ ماذا لو طلب الأب من ابنه أن يصلي ورفض الطفل؟ صحيح أنه من الضروري مخاطبة الطفل عقلاً قبل إنزال العقاب به، لكنه إذا رفض بعد ذلك التنفيذ فلا بد من العقوبة.

(1) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الثاني: في التربية، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار الشروق، 1402هـ - 1982) ص 123.



وثمة مشكلات أخرى. فهناك طرف لن يسكت على العقاب، وهو الطفل، ربما تظاهر بالدخول في نوبة غضب وهستيريا، أو تقلب على الأرض، وبأداء مسرحي رفيع المستوى يستحق عليه جائزة رفيعة في التمثيل يستطيع أن يبث الإشفاق في قلب والديه، وحينما يضع يده على نقطة الضعف هذه يبدأ في الضغط عليها كلما هم أحدهما بمعاقبته.

الرد المناسب على هذا الأداء التمثيلي بسيط للغاية..
التجاهل.

أما إذا كان الطفل أكبر سنًا، وعمد إلى تدمير الممتلكات، أو مارس العنف ضد الآخرين، فعلينا كبحه ونقله إلى مكان أكثر أمنًا، أو إبعاد الآخرين عنه، وقد نستعين هنا بأشخاص آخرين أقارب أو أصدقاء أو جيران لديهم مكانة في قلب الطفل.

وماذا لو رفض الطفل تنفيذ العقوبة؟

يتم حرمانه من أحد الأشياء المحببة لديه، كأحد الوجبات التي يشتهيها، أو عدم مشاهدة التلفاز لمدة أسبوع أو أسبوعين أو شهر، أو عدم الجلوس إلى الحاسب الآلي لمدة زمنية طويلة.



والعقوبات أنواع عديدة. تختار الأم من بينها ما يناسب طفلها، ويتناسب مع حجم الخطأ الذي ارتكبه، فقد تكون العقوبة:

- الحرمان من أشياء مملوكة، لمدة تتراوح ما بين دقيقة و 24 ساعة، مثل مضرب كرة الطاولة، الهاتف الجوال، الألعاب.

- الحرمان من الميزات، مثل الحرمان من مشاهدة التلفاز، ركوب الدراجة، السهر بعد موعد النوم المعتاد، عدم الخروج مع الأب أو الأم، عدم تلقي مكالمات هاتفية.

- الحرمان من أنواع الطعام غير المغذية المحببة لديه.

- قضاء فترة لا يلعب فيها.

- تكليف الطفل بمزيد من العمل، عقاباً على عدم تنفيذ العمل الذي طُلب منه، فالطفل الذي يرفض أن يضع ملابسه في الدولاب يعمل ١٥ دقيقة مثلاً في تنظيف البيت.

اختيار العقوبة المناسبة يتطلب مهارة، فلا بد من معرفة نقاط ضعف الطفل. ما هو أهم شيء له؟ الحلوى؟ أم اللعب مع الأصدقاء؟ أم التلفاز؟ أم الحاسب الآلي؟ إلخ.



وفي حالة إنزال العقوبة، ولم يتحسن سلوك الطفل، فهذا يعني أن العقوبة ليست على القدر المساوي للخطأ، ولا بد من رفع قدرها حتى يتحسن السلوك.



إشراقة:

«ما يبدأ بالغضب ينتهي بالخزي».

(بنيامين فرانكلين)





التسليم بمطالب الطفل في حالة غضبه

بين آونة وأخرى، يُطلق الطفل صرخة في وجه العالم، يعبر فيها عن غضبه. تلك الغضبة لا يجب أن تقابل برفع الراية البيضاء والتسليم بمطالبه، كذلك لا يفيد مواجهتها بصرخة من جانبنا أشد وأقوى، فالأسلوبان سيعودانه على الصراخ.

نوبات الغضب تتواجد لدى كثير من الأطفال بين عمر سنتين إلى ٤ سنوات، وهي مرحلة عمرية تتصف بملامح عديدة، منها العناد والنشاط الدائم، فالطفل يشعر بأن له ذاتًا مستقلة بعيدًا عن أمه التي كانت جزءًا ماديًا ونفسيًا منه.

يطلب الطفل لعبة أو آيس كريم، وإذا لم تلب أمه طلباته، أطلق صرخة قوية، ويكي بشدة، ويرمي نفسه على الأرض ويدقها بقدميه.



يمكننا بداية اتباع مجموعة من الإجراءات الوقائية لمنع نوبات الغضب التي تصيب أطفالنا:

1 - نعلمهم كيفية التعبير عن إحساسهم بالإحباط والغضب: الكبار قدوة للصغار، والطريقة التي نتعامل بها في مواجهة مواقف الإحباط ترسم للأطفال الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه.

على سبيل المثال: إذا احترق الطعام على النار، لا تغضبي، وتعاملي مع الموقف بهدوء، قولي: «أنا منزعة الآن يا حبيبي، ولكن ذلك ليس مشكلة كبيرة، سأقوم بإعداد طبق آخر على العشاء».

2 - علينا بالإطراء على طفلنا: إذا واجه مشكلة في حل مسألة حسائية، وطلب مساعدتنا، فلنهنئه ونقل له: «أنا مسرور لأنك طلبت مساعدتي». عندما تساعدون أولادكم على حل مشكلاتهم بطريقة هادئة، فسيعتاد على التصرف بهدوء.

3 - لا تتركوا طفلكم يلعب وحده على الدوام: لأنه قد يحاول القيام بسلوك غير مقبول للفت انتباه الوالدين.



الآن، ماذا نفعل في حال ثورة الطفل؟

في البدء عزيزتي الأم لا تسمحي لنوبات الغضب بالانتقال إليك، سيطري على مشاعرك، قولي في نفسك: «لا ينبغي أن أتصرف بغباء». أما إذا فقدت أعصابك، فإن الطفل سيتشجع ويواصل معركته.

وتنبهي إلى الخطأ الذي تقع فيه غالبية الأمهات، بتلبية رغبة الطفل لمنع صراخه، خاصة لو حدثت تلك المشكلة أمام الآخرين.

دراسات سلوكية تفيد بأن تلبية رغبة الطفل عند الصراخ هي السبب الرئيس وراء جعل هذا التصرف مستمر. مرة واحدة ينجح فيها الطفل باستخدام هذا الأسلوب الاستفزازي، حتى يصبح عنده «عادة». وفي كل مرة وبأداء تمثيلي يستحق عليه جائزة الأوسكار سوف يحصل على ما يريد.

الخبرة التربوية «سارا راد كليف» تقدم لنا مجموعة من الخطوات التي يمكن استخدامها لمواجهة نوبات الغضب:

1 - تجاهلوا نوبة الغضب عند طفلكم:

حاولي في البداية أن تلفتي نظر الطفل إلى شيء آخر، إلى صوت جرس، أو قصة جميلة. فإذا لم يتجاوب واستمر



رسولنا ﷺ ينبهنا إلى أهمية التحكم في الغضب، ويصف القوي بأنه ليس الذي يملك عضلات جسمانية: «إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». ويقول: «ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها».

في صراخه، فكوني هادئة ولا تغضبني، لثبتي له أن الغضب ليس الوسيلة المثلى لاجتذاب انتباهك.

2 - اعزلوا الطفل في غرفته:

إذا صرخ طفلكم في مكان عام فلا تخرجوا، فكل الناس لديهم نفس المشكلة.

وإذا كنت ضعيفاً أمام نوبة الغضب في الأماكن العامة، فتجنب اصطحابه معك حتى تنتهي فترة التدريب، ويصبح أكثر هدوءاً.

في المنزل يمكن للأُم أن تأخذ طفلها - بدون أن تنطق بكلمة - إلى غرفته، وتصدر له تعليمات بالألا يخرج حتى يتوقف عن البكاء. ولا تغلقي باب الحجرة على الطفل، ولا تنظري إليه.



فإذا خرج الطفل قومي بإرجاعه مرة ثانية وثالثة ورابعة، فإذا كرر الخروج يمكنك أن ترمقيه بنظرة تنم عن الاستنكار، وبسبرة حادة قولي: «ابق في حجرتك حتى تنتهي من هذا البكاء». سينصاع معظم الأطفال لهذا الأمر. بيد أن هناك أطفالاً لا يخافون التهديد ويخرجون. معظم الآباء والأمهات هنا لا يملكون أنفسهم ويصرخون بأعلى صوت. لكن، لا تفعلوا هذا، بل أظهر عدم الاهتمام على قدر المستطاع، عن طريق وضع قطن في الأذنين، أو استمرا في أداء أعمالكم.

3 - لا تنتبهوا للدمار الذي يحدثه:

الصغير في ثورته يمتلك نزعة تدميرية، يقلب غرفته رأساً على عقب، يبشر محتوياتها، ينزع ملابسه من الدولاب، يلقي بكتبه وألعابه على الأرض. يفعل الطفل ذلك للفت الانتباه، وبالتالي فإن عدم الانزعاج لهذا التدمير يطفئ لهيب هذا السلوك الغاضب.

وبعد أن تهدأ نوبة الغضب، لا بد من ترك الغرفة بدون ترتيب، وبدون تعليق على السلوك المدمر للطفل، يمكن فقط تسوية السرير وقت النوم، وتظل باقي محتويات الغرفة مبعثرة، وشيئاً فشيئاً يمكن للآم أن ترتبها لتعود إلى وضعها الطبيعي.



4 - لا تذلووا طفلكم:

إذا كانت نوبة الغضب قد استحكمت بطفلكم، فلا تصفوه بأوصاف سلبية، لا تقولوا له: «أنت شقي»، «أنت طفل غير مهذب»، فإن هذه الأوصاف السلبية تجعله يشعر بالمهانة، ويولد لديه الانطباع بأنه لا يستحق الحصول على ما يريد.

5 - عدم إظهار الحب بطريقة فورية:

حينما يدخل الصغير في نوبة الغضب، ويدمر محتويات غرفته، يخطئ بعض المربين ويسرعون إلى احتضان الصغير وتقبيله، وهما بذلك يدعمان الطفل ليكرر هذا السلوك الغاضب.

لهذا على الآباء والأمهات عدم هدهدة الطفل وتقبيله واحتضانه إلا بعد فترة من انتهاء نوبة الغضب. والأفضل أن يظهر الاهتمام بشكل تدريجي، ويكشف للطفل الحب والحنان والسعادة شيئاً فشيئاً حتى يعود إلى حالته الطبيعية.

6 - لا تتقمصوا دور المؤرخ:

تجنبوا تذكير الطفل بنوبة الغضب في ساعات أخرى من النهار، فهذا التصرف يجعل سلوكه أكثر أهمية، ويزيد من احتمالات تكراره له، لا لشيء إلا لكي تتحدثوا عنه.



الخطوات السابقة تحتاجين فيها عزيقتي الأم وعزيقتي الأب أيضًا إلى كثير من الهدوء والصبر والاتزان، لكن تذكرنا أنها ستمنع طفلكما من اللجوء للصراخ والغضب من أجل الحصول على ما يريد، وبعدها سوف تنعمان ببيت هادئ، وأطفال يعلمون كيف يطلبون الأشياء.



إشراقة:

«سر النجاح في الحياة أن تواجه صعابها بثبات الطير في ثورة العاصفة».

(مصطفى السباعي)





إهمال وضع قواعد لمنع المعارك

بيتي يا سيدي يتحول كل مساء إلى ساحة معركة كبيرة، يهجره الهدوء، ويسكنه الضجيج والصراخ. والسبب طفلي الصغير، فكلما طالبته بالذهاب إلى سريره حينما يحين وقت النوم، يرفض بإباء الجندي المتمرد على أوامر قائده، ولا يأبه بالعقوبة.

تلك المعارك الحامية تتكرر جولاتها يوميًا. فالأطفال يريدون مشاهدة التلفاز قبل أداء الواجبات المدرسية، وأكل الحلوى قبل تناول الغذاء، والجلوس أمام الحاسب الآلي وقتما يخلوهم، والنوم حينما يزورهم سلطان النعاس.

ورغم توسلات الأم، التي قد تتحول إلى صراخ، يرفض الصغار تنفيذ التعليمات، أو ينفذونها إلى حين، معتمزين العودة إلى ساحة المعركة بعد استراحة محارب.



بإمكانك عزيزتي الأم أن تطفئي فتيل تلك المعارك قبل اشتعالها من خلال «وضع قواعد للسلوك»، قواعد واضحة ومحددة وحازمة. مثل:

رسولنا ﷺ يعلمنا أهمية الالتزام بالقواعد فيقول: إذا كان جُنح الليل فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله (أي اربطوا وشدوا على فم القرية حتى لا تدخلها حشرة فتفسدها)، وخمروا أنيتكم واذكروا اسم الله (أي غطوا الإناء)، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم.

- تناول الحلوى غير مسموح إلا بعد الغذاء.

- ممنوع السهر بعد الساعة العاشرة مساءً.

- لا حاسب آلي إلا بعد أداء الواجبات المدرسية.

وبدلاً من العراك والشجار اليومي، سيحل الهدوء والسكينة وتنتهي المناقشات، ويسترخي كل أفراد الأسرة.



وهناك شرطان لا بد من توافرها في القواعد:

- أن تكون قليلة قدر الإمكان، حتى يحفظها الصغار، وحتى لا يتحول البيت إلى ثكنة عسكرية، يخضع أفرادها للأوامر والتعليمات والقواعد الصارمة، فينشأ الابن في جو تسلطي، منزوع الحرية والديمقراطية. بينما الهدف من وضع القواعد هو مساعدة الأطفال على تعليم أنفسهم كيفية التحكم في الرغبات وإخضاعها للقواعد.
- أن تكون واضحة جداً حتى يعقلوها، وبعض الأسر تكتب هذه القواعد على لوحات جميلة وتعلقها على جدران المنزل.

الأمر بعد ليس سهلاً ميسوراً، فالأطفال قد ينظرون إلى القواعد على أنها قيود وسلاسل على حريتهم، ومن ثم يسعون بكل ما أوتوا من دهاء للتخلص منها.

يمكن حل هذه المشكلة من خلال عقد جلسات أسرية لمناقشة القانون الذي تضعه. وتخيلوا الحال حينما يقول رجل في الأربعين لابن العاشرة: تعال لنضع خطة حول استخدام التلفاز في بيتنا. ما الذي يحدث في مثل هذه الحالة؟ أألن يشعر الطفل بالثقة بالنفس ويحس بأنه موضع احترام من قبل والديه؟ لأنه وجد الفرصة لتوضيح رأيه



ورغبته، والدفاع عنها، وهذا بالطبع يدفعه إلى أن يحترم رأي الآخرين، ويساعده على أن يكون واثقاً من نفسه.

الدراسات النفسية أثبتت أن التنشئة الحازمة التي تستند إلى قواعد واضحة تنتج نمواً نفسياً صحياً للأطفال. وهو ما أكدته دراسة ألمانية، ولكن على المستوى الصحي، إذ إن وضع مجموعة من القواعد البسيطة مثل تنظيم مواعيد تناول الأطفال لوجباتهم ومواعيد نومهم يساهم في تحسين صحة الأطفال.

ومن الضروري أن يعلم الأطفال عواقب السلوك، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب، فيشعرون أن الجزاء هو نتيجة طبيعية للقيام بسلوك معين، فلا يترتب على العقاب شعور بالظلم والقهر والتسلط، ولا يترتب على الثواب الغيرة أو الإحساس بتفضيل أحد أفراد الأسرة على حساب الآخرين.

يقول راي بيرك صاحب كتاب (تربية الأبناء بالفطرة السليمة): «إن توضيح عواطف الأفعال أمر

مهم وضروري، فالعواقب تساعد

الأطفال على معرفة أن أفعالهم تؤدي إلى نتائج إيجابية أو سلبية، ومن ثم يتعلم الأطفال أن الحياة مليئة بالاختيارات، وأن اختياراتهم تؤثر بشكل هائل على ما يحدث لهم».



ولأن الأطفال مختلفون، فليست هناك قاعدة تصلح لجميع البيوت، كما قد تختلف القواعد بالنسبة لكل طفل في العائلة، ولن يشعر الأطفال بوجود «تمييز في المعاملة»، فهم يمتلكون قدرًا من الإدراك على استحقاق كل طفل للمعاملة التي تناسبه.

مثلاً: تستطيع «مريم» بنت السنوات العشر الاستيقاظ وهي في قمة نشاطها، تذهب مسرعة إلى مدرستها، تؤدي واجباتها بانتظام، ثم تخلد للنوم حينما تشعر بالنعاس، قد يكون ذلك في التاسعة أو الثامنة أو العاشرة، ليس لديها إذن موعد للنوم، وهي لا تحتاج إلى وضع قاعدة للنوم، بيد أن شقيقها «عمار» يحتاج إلى هذه القاعدة، فهو يجد صعوبة في الاستيقاظ، ورغم رنين المنبه ونداءات والديه يغط في نوم عميق، ولا يغادر فراشه إلا مكرهًا، ويمضي إلى المدرسة متأثلاً، ويعود منها كسولاً، ويصير عصبيًا مع حلول المساء. «عمار» لهذا يحتاج إلى قواعد.

والقواعد يمكن أن يخرقها الأطفال في أوقات ما، عندئذٍ نحتاج إلى أن نعاقبهم لكي يتعلموا احترام القواعد. يحكي أب أن ابنه لم يكن يخلد للنوم في الوقت المحدد، وقد نجح في حل تلك المشكلة، بقوله للطفل إن كل ربع



ساعة تأخير يعني أن الذهاب للفراش في اليوم التالي سيكون قبل الموعد المحدد بعشرين دقيقة.



إشراقة:

«الفرق بين الإنسان الناجح والآخرين ليس نقص القوة أو نقص العلم، ولكن عادة نقص الإرادة».

(فينس لومباردي)





أبيي.. أقنعني من فضلك

الإقناع محور هام من محاور التربية، فالطفل الذي يقتنع بسلوك ما يقبل عليه، وكله حماس وعزيمة على ممارسته، والمداومة عليه.

أما الأبناء الذين ينشؤون على القهر، والسمع والطاعة دون نقاش، يتعامل معهم والداهم بمنطق فرعون: «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ»، فإنهم يتصفون بهشاشة في شخصيتهم، وتردد في اتخاذ القرارات، يحنون هاماتهم أمام كل عاصفة تقابلهم.

الطفل الذي يريد أن يخرج لقضاء بعض الوقت مع أترابه يلعبون ويمرحون، ثم ترفض والدته طلبه، لا بد أن تبين له سبب الرفض: «عليك أولاً الانتهاء من واجباتك». «الجو ممطر وقد تصاب بالأنفلونزا». وقتها يفكر الطفل، ويحاول أن يقنع نفسه بجواب والدته، وإذا رفض جوابها، يمكن للأُم أن تحاول إقناعه، بأن تريه منظر الشارع وقد خلا



من المارة، وتجمعت فيه بعض المياه.

القرآن حثنا على أن نسلك طريق الإقناع، لتتسلق أسوار المقاومة التي يديها الشخص للفكرة الجديدة، ونسف صخور العناد، فنظفر بالقلوب والعقول، فلا يكون بعد الاقتناع تمرد أو تردد أو بذرة شك. يقول سبحانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (النحل: الآية 125).

ويروي لنا أبو هريرة هذا الموقف الذي رآه وشاهده بنفسه.

كان الحسن بن علي يوماً جالساً في حجر جده عليه السلام، وحوّلها تخلق جمع من الصحابة.

أخذ النبي يوزع تمر الصدقة، فلم يشعر إلا وقد قام الحسن، فأخذ واحدة ووضعها في فمه.

ماذا فعل النبي هنا والصدقة لا تحل لآل محمد؟

برفق طلب من الحسن -الذي ربما لم يتجاوز الثالثة من عمره- أن يلقي بالتمرة من فمه، فسكت الغلام واحتار ماذا يفعل. فقال له عليه السلام: «كخ.. كخ»، وهي كلمة قال البخاري إنها فارسية تقال لردع الصبي عند تناول ما يستقدر.



ثم خفض النبي ﷺ صوته، وقال للحسن: «أما شعرت؟
إننا أهل بيت -أي آل محمد- لا نأكل الصدقة».

رسولنا ﷺ يعلمنا كيف نعلم أبناءنا الصواب والحق،
بدون أن نغضب ونصرخ في وجوههم فنهشم كرامتهم، فلم
يدع الصبي يستمر في الخطأ بزعم أنه صغير لا يفقه شيئاً،
وإنما وجهه إلى الصواب في لين، وقال للحسن كلمة لطيفة
خفيفة، وهي: «كخ.. كخ»، ثم ما لبث أن علل له سبب
عدم الأكل، لتكون له قاعدة في حياته كلها: «أما شعرت؟
إننا أهل بيت لا نأكل الصدقة».

فإذا أردت عزيزي المربي أن تصحح أخطاء طفلك، فلا تكن
فرعون يميل تعليماته في تكبر وتجبر، وإنما كن ديمقراطياً تضع
الإقناع في مكانه اللائق، فذلك أدعى إلى تثبيت الأخلاق والقيم.

أستاذنا الدكتور «عبد الكريم بكار» يقول: «الأخلاق
والقيم يتشربها الأطفال من خلال احتكاكهم بالكبار
وإعجابهم بهم، وقد رأيت كثيراً من الناس الذين يفرضون
أخلاقاً فاضلة على أبنائهم، ويحملونهم على سلوكيات معينة
بالضغط والإكراه، ورأيت تلك الأخلاق والقيم وهي
تتهاوى سريعاً لدى أبنائهم عند أول امتحان، ولهذا فإن
الإقناع والاقناع هو الأساس».



لكن، هل كل الأمور تقوم على الإقناع؟

هناك أمور عديدة، ومسائل شتى تقف خارج حدود عقولنا، ومهما ارتفع شأننا في العلم نظل عاجزين عن إدراكها. فهذا عمر بن الخطاب يقبل الحجر الأسود وهو يقول: «أما والله لقد علمت أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

فهناك إذن أمور عقائدية قد لا يقوم الطفل بها، بدعوى أنه ليس مقتنعاً بها، فقد يرفض أن يصلي لأنه لا يرى في الصلاة فائدة، أو يمتنع عن الصوم. في هذه الحالات يجب أن ننشئ لدى الطفل حاجزاً كبيراً بين تفكيره، والذي نشجع على توسيع مداركه، والشطط والجموح، فليس كل شيء يخضع للعقل.

الحبيب ﷺ يقول: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر». فالطفل يُؤمر وهو ابن سبع سنين بالصلاة تخلقاً وتادباً، ولا يَأثم بتركها، فالقلم رُفِعَ عن ثلاثة كما قال ﷺ: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم. أما إذا بلغ العاشرة، وترك الصلاة جحوداً أو كسلاً، فعلى والده أن يعاقبه.



وبخلاف الأمور العقائدية، قد يرفض الطفل إطاعة تعليمات والده أو والدته مهما حاولا إقناعه بها، في هذه الحالة لا مفر من حمل الطفل عليها.

إمام الدعاة «محمد متولي الشعراوي» (1911 - 1998) يقص علينا في مذكراته أن والده كان يملك أراضي واسعة وحدائق غنّاء، فكان الشيخ وهو صبي يفكر: لماذا أترك هذا كله وأذهب إلى الكُتّاب (مكتب تحفيظ القرآن)؟ لهذا كان كثيراً ما لا يذهب أصلاً، وإذا ذهب أسرع بالهروب. وكان هذا السلوك يضايق والده، لكنه كان يصبر على إلحاقه بالكُتّاب لحفظ القرآن الكريم. ولو تركه والده وشأنه لما عرفت الأمة الإسلامية إمام الدعاة الشيخ الشعراوي.

هناك أمور تتطلب منا أن نلجأ للإقناع، وأمور إذا رفضها الطفل لقصور عقله، وضيق مداركه، لا ينبغي أن نتركه على هواه، بزعم أنه لم يقتنع، أو تركه حتى يكبر ويقتنع.



إشراقة:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(النحل: الآية 125)



أبيي.. هل يمكن أن تجيئني؟

لا أستطيع أن أصف لك ذلك الشعور الذي أصابني حينما دخل عليّ ابني وأنا جالسة مع زوجي وبعض الأقارب، وقد وضع يده في وسطه، وأغلظ صوته وكأنه وكيل نيابة يوجه تهمة إلى مذنب في قفص الاتهام: من قال لك أن تنجبي طفلاً غيري؟ وقولي لي: كيف تنجين الأطفال؟ ولماذا تحببهم داخل بطنك؟ عقدت الدهشة لساني، وخيم الصمت علينا، فلا تسمع إلا همساً، ثم انفجرنا في الضحك، لنداري فشلنا في تقديم إجابة صحيحة على سؤال طفلي الفضولي.

كثيرة هي أسئلة الطفل، ما بين دينية وعلمية وجنسية، عشرات الأسئلة التي ي طرحها على والديه صباح مساء، و ينتظر منهما إجابات تفك طلاسم ما يقع أمام ناظره.

آباء وأمّهات يضطربون ويتلعثمون ويندى جبين بعضهم خجلاً من أسئلة الأطفال الجنسية، فيتهربون منها، أو يوبخون الأبناء على إلقاء تلك النوعية من الأسئلة.



إجاباتك أيها المربي على أسئلة طفلك تشكل المخزون الأساسي والأول لمعرفته، وإذا تهربت منها فهناك ألف طريقة وطريقة سيسلكها الأبناء ليعرفوا ما يشغل عقولهم.
فكن حذرًا..

- لا تستهين أبدًا بسؤال الطفل، وإنما عليك أن تشعره بأن سؤاله ذكي، وصادر عن طفل ذكي، لتنمي لديه حب الاستطلاع والمعرفة.

- طفلك كثير الأسئلة، لا تقل له: أنت ثرثار، كثير

الناجحون في الحياة والناجحون من رجال ونساء، إنما هم أطفال استطاعوا في سن الطفولة البريئة أن يسألوا أسئلة ذكية، ووجدوا لها العقلاء من الآباء والأمهات والمدرسين الذين أجابوهم بأجوبة تنفعهم منفعة عالية في حياتهم.

(عبد الكريم بكار)

الأسئلة. بل قل: أنت ذكي تريد أن تعرف كل شيء، وسوف أساعدك. اغرس فيه روح المعرفة.

- سؤال طفلك محرج، لا تجعل لحمرة الوجه والتلعثم مكانًا، واطرد كلمة «سؤال محرج» من قاموسك، حتى ولو سألك أمام الآخرين، لأنك حينها ستلقت انتباه الطفل بأن هناك أمرًا ما



- تريد إخفاءه، وطفلك ذكي محب للاستطلاع.
 - لا ترفض أبداً سؤال طفلك، وتقل له: كف عن أسئلتك تلك، لا تزعجني بكثرة الأسئلة. إذا قلت ذلك قتلت لديه حب المعرفة، فيتعلم ألا يتعلم.
 - عدم الإجابة عن أسئلة الأطفال يجعلهم يشعرون بالقلق والتوتر وعدم الراحة، وتحد من رغبتهم في الاستطلاع، مما يؤثر على مخزونهم المعرفي.
 - لا تؤجل الإجابة، وتقل لابنك: أنا مشغول الآن، وسأرد عليك حينما أنتهي من عملي. وتعتقد أن ابنك سوف ينسى، وتفلت أنت من الإجابة، بالتأكيد لن ينسى ابنك سؤاله.
 - توقف عن قولك: «ليس الآن»، «لماذا أنت كثير الأسئلة؟»، «هذا عيب»، «حرام»، «عندما تكبر سوف أخبرك بالإجابة عن هذا السؤال»، «لا أعرف».
- وفي الإجابة عن تساؤلات الأطفال، يجب أن نتوقف عن محاولة إيهام الصغار أننا ندرك ونعي كل شيء في الكون، فمهما عرفنا سيظل ما نعرفه قليلاً بالنسبة إلى ما نجهله. لا بد أن نقول للطفل بصراحة إننا لا نعرف كل شيء حولنا، لكن يمكن من خلال البحث والقراءة معرفة الإجابات عن الأسئلة التي تحيرنا.



لذلك، لا تشعر بالخرج إذا سألك صغيرك سؤالاً ولم تعرف إجابته، قل له ببساطة: «لا أعرف إجابة هذا السؤال الذكي». وانتزها فرصة لتفتح أمامه طرق البحث والاطلاع بتحري الإجابة على شبكة الانترنت، أو باللجوء إلى الكتب المتخصصة، فيتعلم الطفل أن المعرفة ليس لها حدود.

لكن، أي إجابة تصلح للطفل؟ هذا الأمر يتوقف على: عمر الطفل، والذي يحدد قدرة عقله على الاستيعاب، وكذلك مستوى ذكاء الطفل، وترتيب الطفل داخل العائلة، فالطفل الأصغر ربما يحاول الحصول على أجوبة لأسئلته من إخوانه الأكبر في السن، وعلاقة الطفل بالأم، والمناسبة التي يسأل فيها الطفل.

فالإجابة إذن مسؤولية، وهي ليست بالسهولة التي نعتقد، وصفحات الحوادث بالصحف قصت علينا أن طفلاً سأل والدته عن جدته التي رحلت، فقالت الأم: لقد صعدت إلى السماء عند ربنا.

تسعة أعشار التعليم تشجيع.

(أناطول فرانس)

ولأن الطفل كان يحب جدته، فقد أسرع إلى النافذة وأراد أن يصعد إلى جدته، فسقط من النافذة قتيلاً.



والسبب في تلك الفاجعة: الإجابة الخاطئة التي قالتها الأم دون أن تراعي مدى مراعاتها لعقل طفلها. الحقيقة السابقة تؤكد أنه «لا توجد إجابات مغلفة»، تصلح لكل الأطفال، لإشباع حاجاتهم إلى المعرفة، فمرحلة الطفولة طويلة ممتدة، يصل بها العلماء إلى سن السادسة عشرة، وأحياناً إلى الثامنة عشرة، مما يعني بالضرورة تفاوت الأطفال في قدراتهم العقلية، فطفل ما قبل المدرسة، يختلف عن طفل المدرسة، عن سن المراهقة.

وهنا يتساءل كثير من الآباء والأمهات: كيف نجيب عن أبنائنا ونشرح لهم الحقائق التي استغرقت منا سنوات بشكل يتناسب مع قدراتهم العقلية؟ كيف يتأتى لنا أن نشرح العملية الجنسية؟ وكيف نصف لهم الله؟ وكيف؟ وكيف؟

«محمد قطب» في كتابه (منهج التربية الإسلامية) يؤكد على أهمية قول الحقيقة عندما نرد على تساؤلات طفلنا: «سنقول له أشياء لن نستطيع تصورها ولا تخيلها، ولكننا مع ذلك لا بد أن نلقيها في خلده حتى يتم إدراكها فيما بعد».

حين نقول له إن الله يرانا ويسمعنا وإن كنا لا نراه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، (الأنعام: الآية 103)، فلن يفهم ذلك وهو صغير، ولكنه حين يكبر يستطيع أن



يستوعب هذا الأمر على أنه حقيقة، وإن كان سيعرف أنه لن يدرك الكنه، لأن ذلك خارج عن نطاق الإدراك البشري. ومع ذلك، فلا بد أن نقول له هذه الحقيقة، لأنه سيظل يسأل دائماً: أين الله؟ ولماذا لا نراه؟⁽¹⁾

وهذا الأمر ينطبق عندما نجيب عن الأسئلة التي تتعلق بالعلاقات الجنسية والفروق بين الذكور والإناث. الفيصل هنا ذكاء الأب والأم في رد الفعل الأول عند تلقي السؤال، وعدم إظهار محاولة التهرب من الإجابة عن السؤال مهما كان محرّجاً، بل عليك عزيزي المربي أن تأخذ الأمر ببساطة متناهية. والطفل الذي يسأل: من أين جئت؟ يخطئ والداه عندما يقولان له: اشتريناك من السوبر ماركت، أو أخذناك من عند الطبيب.

تلك الإجابة السخيفة تخلق عقلاً سطحياً لدى الطفل، وعلى العكس من ذلك يمكننا أن نشرح للطفل من أين جاء ببساطة، كأن نقول له: من بطن ماما. فإذا تبادى وسأل: وأين كنت أعيش في بطن ماما؟ نقول له: في الرحم. صحيح هو لن يفهم ما معنى الكلمة، لكننا قلنا

(1) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، الجزء الثاني: في التطبيق، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار الشروق، 1402 هـ - 1982) ص 163.



له الحقيقة، وعندما يكبر ويعي أكثر سيدرك أننا قلنا له الحقيقة، ولم نكذب عليه.

فإذا سأل الطفل: وكيف دخلت بطن ماما؟ فلتقل له الأم: إن أباك أعطاني بذرة، ووضعتها داخلي، حتى نمت وكبرت، لتأتي أنت إلى الدنيا. ويمكن أن نشرح هذا الأمر بمثال عملي مشابه، بأن نبين للطفل كيف نزرع الخضروات وأشجار الفاكهة في الحديقة، فنحن نأخذ بذور النباتات ونضعها في التربة، ونراعيها بالماء والسماذ، حتى تنبت، ثم نعتني بها أكثر لتصير شجرة وارفة تسر الناظرين.



إشراقة:

«تستطيع أن تعرف أن أطفالك كبروا عندما يتوقفون عن سؤالك عن كيفية مجيئهم إلى الحياة، ويرفضون إخبارك إلى أين هم ذاهبون.
(أوروك)





أشهر أسئلة الأطفال وكيفية الرد عليها

في الصفحات السابقة تكلمنا عن أهمية الإجابة عن تساؤلات الأطفال، وأكدنا على أهمية تقديم الإجابة الصحيحة والصادقة دون أي اقتراب من الاستخفاف بعقلية الطفل. وقلنا إن الطفل قد يلقي أسئلة تفوق ذكاء الأم والأب، وهنا عليهما أن يثنيا عليه ويفتحا أمامه أبواب البحث والمعرفة. ونقدم الآن طائفة من أشهر الأسئلة التي يوجهها الأطفال لأبائهم وأمهاتهم، ومحاولة لتقديم نواة للإجابة يمكن التعديل فيها، للرد على تساؤلات صغارنا.

ونبدأ بالأسئلة الدينية..

الطفل: أين يوجد الله؟

المرابي: في السماء، في كل مكان، هو يرانا ونحن لا نستطيع أن نراه. وعندما ندخل الجنة سوف ينعم علينا الله وننظر إلى وجهه سبحانه.



«قد لا يفهم الطفل وهو صغير كيف أن الله يرانا ولا نراه، ولكن لا بد أن نقول له الحقيقة، وحين يكبر يستطيع أن يستوعب».

الطفل: ما شكل الله؟

المربي: الله هو الجمال، هو خالق كل شيء جميل تراه من حولك، لكنه أجهل من كل شيء، لأنه هو خالق الجمال.

الطفل: هل الله إنسان مثلنا؟

المربي: لا، ليس مثلنا. الله خلقني وخلقك وخلق كل الناس، خلق الأشجار والأنهار والبحار وكل شيء في هذه الدنيا، هل أستطيع أنا أو أنت أو أي شخص أن نخلق إنساناً؟ فالله ليس إنساناً مثلنا، بل هو مصدر القوة، وإذا أراد قال للشيء كن فيكون.

الطفل: أين ذهب جدي الذي مات؟

المربي: ذهب إلى الله، وكل إنسان منا سوف يعيش على الأرض لفترة معينة، يجددها الله، ثم بعد ذلك يذهب إلى الله، لنعيش كلنا سوياً سعداء، في الجنة، أما من يفعل سوءاً فسوف يدخله الله النار.

الطفل: وأين توجد الجنة والنار؟



المربي: عند الله.

الطفل: ما شكل الجنة؟

المربي: الجنة فيها كل شيء حلو يمكنك أن تتخيله، فيها فاكهة، وأنهار، وأسواق، وطيور، وسيكون فيها كل الناس الذين تحبهم.

الطفل: هل سيعاقبني الله إذا أخطأتُ؟

المربي: نعم، ستلقى عقاباً في الدنيا، حتى تتوب وتعترف أنك أخطأت، وتنوي عدم ارتكاب الخطأ مرة ثانية، فالله يسامح ويغفر لمن يتوب، أما من يسرق أو يكذب ويستمر على ذلك، فإن الله يحاسبه في الدنيا والآخرة.

الطفل: ما هي الروح؟

المربي: الروح سر من أسرار الله، وعندما نموت تذهب الأرواح إلى الله.

الطفل: أين يذهب الناس بعد الموت؟

يذهب الناس إلى الآخرة، ليحاسبهم الله على ما فعلوا، فإذا فعلوا الخير أدخلهم الجنة، وإذا كانوا سيئين أدخلهم النار.



الطفل: وكيف يموت الناس؟

المربي: الموت مثل النوم في الليل، ولكنه نوم طويل، نستيقظ بعده عندما يريد الله أن يحاسبنا يوم القيامة.

الطفل: وما هو يوم القيامة؟

المربي: هو اليوم الذي يقوم فيه كل من مات من نومه ليحاسبه الله على ما فعل في الحياة الدنيا، ومن عمل خيرًا ادخله الله الجنة، ومن عمل شرًا يدخل النار.

هذه نماذج من الأسئلة الدينية، وكلها تتحدث عن حقائق الدين والعقيدة بشكل مبسط يناسب الطفل، وتربطه منذ صغره بالسما والحقمها وعلها.

الآن، وصلنا إلى محطة الأسئلة الجنسية، التي تتعطل فيها إجاباتنا ويسكت لساننا عن الخوض فيها باعتبارها من الأمور الشائكة التي من الصعب تقديم الإجابة الصحيحة فيها للأطفال، حتى أصبح الجنس «تابو» يحرم على الجميع التحدث فيه.

وكما تحدثنا سابقًا، فإن الأب والأم عندما يفشلان في الإجابة عن الأسئلة الجنسية المحرجة لطفلهن، فإنه سيجد ألف طريق يحصل منها على ما يريد من معرفة، وبالطبع



لن تكون الإجابة الصحيحة، وستؤدي إلى تكوين أفكار ومعتقدات خاطئة، قد تؤثر على نفسيته.

الرد على الأسئلة الجنسية يعتمد في المقام الأول على عدم إشعار الطفل بوجود حرج في طرح السؤال، فلا يوجد ما يخفيه الأب، وثانيًا لا بد من تبسيط المعلومة للطفل، حتى يستطيع أن يستوعبها، ولا يلجأ إلى مصادر أخرى بعيدًا عن البيت.

فعندما يبدأ الطفل في التساؤل عن مكان تواجدته قبل أن يولد يمكن أن يجيبه المربي: إنك أتيت من مكان في بطن أمك، اسمه الرحم.

الطفل: وكيف كنت أعيش في بطن ماما؟

المربي: وأنت صغير كانت ماما تضعك في مكان خاص في بطنها، حتى إذا كبرت قليلاً، خرجت لتعيش بيننا، ونفرح كلنا برؤيتك.

الطفل: وكيف خرجت من الرحم؟

المربي: عندما كبرت قليلاً في بطن ماما، وجاء موعد خروجك إلى الدنيا، ذهبنا إلى الطبيب، وخرجت أنت من قناة صغيرة اسمها قناة الولادة.



الطفل: وكيف تحمل النساء؟

المربي: هل رأيت الفلاح وهو يضع البذرة في الأرض لتتبت بعد ذلك وتصير شجرة كبيرة زاهية؟ هذا ما حدث معك، فقد أعطى أبوك لأمك بذرة، وضعتها داخلها حتى نمت وكبرت.. وأصبحت أنت.

الطفل: ولماذا لا يلد بابا؟

المربي: النساء هي التي تلد، أما الرجال فيقومون بالأعمال الشاقة، يذهبون إلى العمل، ويحصلون على المال.
الطفل: من أين يأتي اللبن الذي تعطيه أمي لأخي الصغير؟

المربي: الطفل الصغير ليس لديه أسنان مثل أسنانك ليأكل بها، ولذلك تعطيه أمك لبنًا ليشربه.

الطفل: لماذا يتزوج الرجل امرأة؟

المربي: كل بيت لا بد أن يوجد به رجل وامرأة، المرأة تعمل في البيت، وتربي الأطفال، وتساعدهم في واجباتهم المدرسية، والرجل يعمل خارج البيت لكي يكسب المال لإطعام الجميع.

الطفل: لماذا لا يتزوج الأخ أخته؟



المربي: لو تزوج الأخ أخته لظلا اثنين فقط في البيت، أما لو تزوج واحدة أخرى، فالعائلة سوف تكبر، وأنت تريد أن يكون لنا أقارب كثيرون.

الطفل: لماذا لا نستحم أنا وأختي؟

المربي: لأنك صرت كبيراً، والرجال لا يستحمون مع النساء.

وبمثل هذا التبسيط للمعلومات -وليس التسطيح- يمكننا أن نقدم إجابة على كل أسئلة الطفل، سواء كانت دينية أو جنسية أو علمية. ومصادر المعرفة متعددة أماننا، فلننهل منها، ونعلم أولادنا البحث عن المعرفة، لبنني جيلاً يفيد بلده وأمته. فلا مكان للجاهلاء في هذا العالم.



إشراقة:

«كل إناء يضيق بما جعل فيه، إلا وعاء العلم، فإنه يتسع».

(الإمام علي بن أبي طالب)





الاستهانة بمشاعر الطفل

الدكتور سيوك، أحد أشهر علماء التربية، بعد أن كتب عديداً من الكتب، وألقى آلاف المحاضرات، وقف أمام حقيقة استخلصها من كل ما كتب وقرأ: «إن احترام الآباء للأبناء أمر أساسي ومهم، هذه هي الحقيقة التي يمكن أن نستخرجها من كل القواعد والنظريات التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين». ورغم ذلك يهملها الكثير من الآباء والأمهات للأسف.

يخطئ من يعتقد أن الأطفال لا يعون ولا يدركون الأمور من حولهم، وأنهم كائنات منزوعة الأحاسيس، معطلة المشاعر، فالطفل منذ بدء تشكله في عالم الرحم يعي ويشعر ويفكر، بل إن العلماء قالوا إنه يحلم، ويستمتع بأنغام الموسيقى التي تنصت لها الأم، ويستعذب صوت القرآن.



ومشاعر الطفل وعواطفه تتأثر في المقام الأول بوالديه،
ورود أفعالها تجاه ما يشعر به، لهذا كانت نصيحة خبراء
التربية هي عدم الاستهانة بمشاعر الطفل.

ولكي نفهم مشاعر الطفل نقرأ كلمات الدكتور «عبد
الكريم بكار» في كتابه (القواعد العشر لتربية الأبناء):
«تعاطف الآباء مع أولادهم يعد موردًا هامًا لشعورهم
بالأمان والاطمئنان. الطفل يفرح لأشياء كثيرة لا تلفت
انتباه الكبار ولا تطربهم، كما أنه يغضب وينفعل وينزعج
لأشياء أيضًا كثيرة لا يرى الكبار فيها ما يستحق الانزعاج،
وهنا يأتي دور المشاركة في المشاعر».

كان لأنس بن مالك رضي الله عنه أخ يقال له «عمير»،
وكان يملك طائرًا اسمه النغير - وهو طائر يشبه العصفور
وله منقار أحمر - فكان رسول الله ﷺ كلما زار بيت أنس
داعب عميرًا، وهش في وجهه وتبسم: يا أبا عمير، ما فعل
النغير؟

وفي يوم رأى رسول الله ﷺ أبا عمير حزينًا، فاقترب منه
وسأله عن سبب الحزن الذي استبد به، فقال: مات النغير
يا رسول الله.

فظل ﷺ يداعبه ويحادثه ويلاعبه حتى ضحك.



هذا القلب الكبير، المشغول بالقضايا العظام، والعقبات الكبرى التي تواجه الدعوة، من كيد المشركين ومكر يهود المدينة، وتربص قبائل العرب، لا تصرفه عن مواساة طفل صغير مات طائره الذي يلهو به.

وفي غزوة مؤتة، والتي كانت أول مواجهة كبرى بين الإسلام والقوات الرومانية، ثبت جيش الإسلام، وكان تعداده ثلاثة آلاف، أمام جيش الروم، والذي تجاوز عدده المائة ألف في بعض الروايات. في تلك المعركة استشهد جعفر بن أبي طالب، وحينما علم رسولنا ﷺ بالنبأ كان أول ما فعله أن ذهب إلى بيت ابن عمه الشهيد، ليواسي أولاده، ماسحاً بيديه على رؤوسهم، يخفف من جراح فقدهم لوالدهم.

وبعد محمد ﷺ بمئات السنين، يحدثنا «فولتير» (1684 - 1778م) كاتب فرنسا وشاعرها العظيم، عن حادثة أثارت في نفسه كثيراً من المشاعر.

السر في التعليم الناجح هو
احترام التلميذ.

رالف والدو إمرسون

كان يوماً في زيارة صديق له في بيته الريفية، وفجأة رأى أحد أبناء ذلك الصديق يقف وراء نافذة الغرفة، يتطلع من ورائها بأسى وهو يجهد بالبكاء، فاقرب منه



ليرى هذا الذي رآه الصبي الصغير، وأثار في نفسه الألم وأدمع عينه، فإذا به يرى طفلين صغيرين يجملان قطة بيضاء صغيرة، ويهان بوضعها في قبر، بعد أن عقرها ذئب جائع مفترس، وعجزت أن تدافع عن نفسها أمام شراسته. قال الصبي: لقد ماتت قطتي. ماتت قطتي وصديقتي يا سيدي .

فأمسك «فولتير» بيد الصغير وقال: تعال معي.

وإلى النافذة الأخرى المطلّة على الحديقة قال للصبي: هل ترى هذه الزهور الجميلة يا بني؟ ثم هذه الطيور على أغصانها فوق الأشجار؟ تطلع إليها يا بني، واملأ عينك بها، فهذه هي الحياة في أجمل صورها، لا تُحزن يا صديقي الصغير، وسوف أبحث لك عن قطة أخرى، وستحبها أكثر منها.

أبناءؤنا يريدون منا مشاركتهم أحاسيسهم، لا أن نقلل من شأن الأمور التي تضايقهم، فاللعبة التي كُسِرت في أثناء لعب الطفل بها وحزن عليها، يجب أن نتقبل مشاعره الحزينة عليها، لا أن نستهيئ بها. والبالون الذي انفجر، لا نضحك سخرية على بكاء الصغير لفقده إياه، بل نقول له: أعرف مدى حبك لهذا البالون، يبدو أنك حزين لفقده.



يقول «محمد سعيد المرسي» في كتابه (أحسن مربّي في العالم): «إن عباراتنا هذه تُشعر أطفالنا بأننا نصغي إليهم، وندعوهم للإفصاح عما يضايقهم، وقد تبدو أكثر تجاوبًا معهم عندما نعبّر عما يضايقهم بجمل تعبر عن المعنى الذي يريدون التعبير عنه».

فتلك الجمل تساعد على تنشئة طفل يمتلك «ذكاءً عاطفيًا»، قادر على التعبير عن مشاعره، وتفهم مشاعر الآخرين، حينما تضعهم تجارب الحياة أمام اختبارات تدمي القلب، وتسيل الدمع.



إشراقة:

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَوَقَّرَ كَبِيرَنَا، وَيَعْرِفُ
لِعَالِمِنَا حَقَّهُ».

(محمد رسول الله ﷺ)



التمييز بين الأبناء

التفرقة في المعاملة بين الأبناء قد تكون سبباً رئيساً في «الفرقة» بينهم، بما تبثه من حسد، وحققد، وكرهية، والإصابة بالاكْتئاب، والعزلة، والانطواء، والبكاء، وحب الاعتداء. فيعيش كل واحد منهم في جزيرة منعزلة داخل محيط البيت، فلا يشاركون بعضهم في مشاكلهم وأحلامهم. لخطورة هذه المشكلة، تناولها القرآن في سورة كاملة، فقد حُرِّمَ يوسف من حنان والده لسنوات طوال، بعدما شعر إخوته بالغيرة منه، حينما وجدوا أباهم يفضله في المعاملة عليهم، فقالوا: ﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8]. ولم يشفع لأبيهم أن الله رزقه يوسف بعدما كبر ووهن عظمه.



إذا علمت ولدًا فقد علمت
فردًا، وإذا علمت بنتًا فقد
علمت أمة.

(الإمام عبد الحميد بن باديس)

ولم يراعوا أنهم من نسل نبي
ابن نبي ابن نبي، فهم أبناء
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم،
فأخذوا يخططون لأبشع جريمة
يمكن أن تُرتكب، إزهاق روح
صبي لا يملك عن نفسه دفعًا.

ورغم ما نهت إليه السورة الكريمة، نجد حكمتها
تغيب عن آباء وأمّهات يصرون على أن يكونوا سببًا في
تأجيج العداوة بين الأشقاء.

- كأن يشعر الأخ بأن أباه أو أمه يهتان بأخيه أكثر منه.
- أو يندفع الأب والأم في الإشادة بالذكي والمطيع
والوسيم منهم. فالأطفال يتسابقون إلى الاستحواذ
على محبة أبويهم لهم، فإذا شعروا أن واحدًا منهم فاز
بذلك دونهم أضمرُوا له العداوة والكراهية.
- مقارنة الأهل للأبناء بعضهم ببعض على نحو
سليبي، وتقديم أحدهم على أنه النموذج الذي يجب
أن يُتبع، كأن تقول الأم لابنتها: إنكِ غير منظمة،
وغرفتك غير مرتبة على الدوام. تعلمي من أختك
ما الذي عليك أن تفعليه.



• بعض الأسر تمنح الأخ الأكبر سلطات واسعة للتحكم بإخوانه الصغار، أو تفضل الولد على البنت، وتلزمها بخدمة أخيها، في حين لا تلزمه بتلبية احتياجات أخته، فينشأ مدللًا، معتمدًا على أخته في أداء كل شيء، فلا يضع يده أبدًا في ترتيب البيت ونظامه ونظافته. فأنى لذلك أن يجعله يشعر بالمسؤولية؟ فيعيش أنانيًا، غير مبال بمشاعرها واحتياجاتها. وحينما تتعرض لمشكلة في حياتها فيما بعد، يتركها وحدها تصارع أمواج الحياة، ليهرب في أقرب قارب نجاة.

ولخطورة التفرقة حرص النبي ﷺ على تعليم أصحابه العدل بين أبنائهم.

يروى لنا أنس بن مالك هذا الموقف.

فقد كان رجل جالسًا عند رسول الله، فأقبل ابن له، فهش الرجل في وجهه وقبله وأجلسه على رجله، ولم يمر وقت حتى جاءت ابنة له، فهش في وجهها، لكنه أجلسها بين يديه.

هنا تدخل نبي الإسلام ﷺ وقال له: «ألا ساويت بينهما». وفي رواية أخرى: «فهلا على فخذك الأخرى». فأسرع الرجل ونفذ نصيحة الرسول، فقال له ﷺ: «الآن عدلت».



هذا عدل ومساواة في التعامل مع الأبناء، فلا يشعرون بأن أباهم يؤثر أخواهم، ويفضله عليهم في المعاملة.

ولسد باب الشيطان الذي يلج إلى القلوب حينما يفضل الأب أحد أبنائه بهال أو عقار أو هدية، يروي النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نَحَلْتُ (أعطيت) ابني هذا غلامًا كان لي.

فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟
فقال: لا.

فقال رسول الله ﷺ: فأرجعه.

عن النعمان بن بشير
قال: قال رسول
الله ﷺ: اعدلوا بين
أولادكم، اعدلوا بين
أولادكم، اعدلوا بين
أولادكم. (رواه أحمد).

وفي رواية أخرى: سأله رسول
الله ﷺ: يا بشير، ألك ولد سوى
هذا؟ قال: نعم. قال: أكلهم
وهبت له مثل هذا؟ قال: لا.
قال: فلا تشهدني إذن، فإني لا
أشهد على جور. (رواه البخاري
ومسلم).

فلتكن عزيزي المربي عادلًا بين أبنائك.



كن عادلاً بينهم ليحبوك، ويجب كل واحد منهم أخاه.

كن عادلاً حينما تتدخل للفصل بينهم في مشاجراتهم، فلا تحابِ الكبير لأنك تحبه، أو تنصر الصغير لأنه ضعيف، فكلهم أبناءك، وكلهم سواء.

كن عادلاً في معاملتهم، فلا تقرب أحدهم منك، فيما تقصي الآخر.

ولا تفرق بينهم حتى في القبلات والابتسامات.

لكن، هل يمكن لنا أن نحب أطفالنا على نحوٍ متساوٍ؟ وماذا نفعل إذا كانت قلوبنا تميل إلى أحدهم لأننا نراه أشدهم تقرباً إلى الله وأكثرهم ذكاءً وبراً بالديه؟

الحب شيء، والتفضيل في المعاملة شيء آخر. وإذا كنا لا نملك السيطرة على عواطفنا وقلوبنا، إذ تميل بنا نحو الأكرم والأذكى والأكثر برًا، إلا أننا نملك السيطرة على سلوكياتنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا مع الأبناء، فالحب لا يعني بالضرورة تفضيل طفل على باقي أخوته.



إشراقة:

«لقد وجدت البشر أكثر رقة مما توقعت، وأقل عدلاً».

(صمويل جونسون)





استحالة المساواة التامة

هل العدل بين الأبناء يعني المساواة التامة بينهم في كل شيء؟ هل إذا أحضرت هدية لأحدهم يعني بالضرورة إحضار هدايا مثلها لبقية أخوته؟

علماء التربية يجيبون عن هذا التساؤل بتنبهنا إلى حقيقة في غاية الأهمية، وهي أن الأطفال لا يحتاجون أن نعاملهم معاملة متساوية تمامًا، وإنما علينا أن نعامل كل واحد منهم معاملة تتناسب مع صفاته الشخصية.

والجزء الطبيعي لأي أب أو أم يحاول أن يكون مثاليًا في المساواة بين الأولاد هو الإصابة بالإحباط والتوتر. فالمساواة التامة لا يمكن أن تتحقق مع وجود اختلاف بين الأطفال في السن والميول والاتجاهات والطباع والأمزجة والهوايات.

فالطفل الذي بلغ العاشرة سيشعر بالظلم إذا نام في الوقت الذي ينام فيه أخوه البالغ من العمر أربع سنوات، فهو قد كبر ويريد أن يبقى ساهرًا وقتًا أطول.



وهل إذا جاء الأب بدراجة لابنه في عيد ميلاده السادس يعني بالضرورة أن يأتي لشقيقه الأصغر بمثلها في عيد ميلاده؟ فربما كان الأصغر يفضل الحصول على أدوات للرسم أو لعبة أخرى يفضلها وتتناسب مع عمره وميوله. فالأطفال لا يتشابهون في أذواقهم، لذلك فهم لا يريدون أشياء متشابهة، فكل واحد منهم يريد هدية تتناسب مع ذوقه وميوله.

في كتابه (ابنك الثاني) يؤكد «جون ويس» هذه الحقيقة بقوله: «رغم أن الأطفال يذكرون أمام آبائهم أنهم يريدون العدل والمساواة، إلا أنهم لا يقبلون بهما عند تطبيقهما عليهم في شؤون حياتهم اليومية، ومن الصعب على الوالدين أيضاً تطبيقهما. لقد أثبتت التجارب التربوية أن تحقيق كل شيء بشكل متساوٍ بين الأبناء لا يمنع الشجار بينهم، والسبب أن الإخوة لا يتعاركون بسبب ما يعطيه الوالدان لأحدهما دون الآخر، وإنما من أجل التأكيد من حصولهم على حبههم. لذلك من الأفضل بدلاً من أن نكون عادلين في جلب الأشياء لأطفالنا، أن نعامل كل طفل بما يتناسب مع شخصيته».



فالعدل بين الأبناء إذن لا يعني المساواة التامة، ولكنه يعني إعطاء كل واحد منهم ما يحتاجه، فالطفل الصغير يخلد إلى النوم قبل الأكبر سنًّا، وحينما يصاب أحدهم بمرض، أو يمر بأزمة، فإنه يحتاج إلى رعاية وملاطفة أكثر من غيره، وهكذا.



إشراقة:

«ما سيكونه أطفالنا هو ما سيكونه مجتمعنا القادم».

(سوزان لافوليت)





ترك الطفل نهبًا لأفلام الرعب

عيون شاخصة إلى الشاشة، قلوب واجفة ترتجف بين الأضلع والصدور، توشك على الهروب من قفصها الصدري، لتختبئ في مكان آمن. والسبب: كائنات مشوهة الوجوه، مرعبة، عيونها نار، كلامها فحيح، أسنانها مدببة، تتقاطر منها دماء ضحاياها الأبرياء، وتبحث عن المزيد منهم في عتمة الليل.

تظهر نتائج دراسات وبحوث إعلامية ونفسية أن الأطفال الذين يشاهدون أفلام الرعب يعانون من القلق والخوف وصعوبة النوم والأفكار السلبية، وتخيل أشياء مخيفة.

تريد الأم أن تترك أولادها يتلهون بمشاهدة التلفاز، لتقوم هي بواجبات البيت، فتدعهم يشاهدون ما يروق لهم على شاشته، أو تتحلق الأسرة حول الشاشة في أوقات السهرة، فيقضي الصغار ساعات في مشاهدة أفلام رعب، أفكارها



سخيفة، تتحدث عن كائنات تخطط، تدبر، تمكر، من أجل تدمير الكرة الأرضية، أو التلذذ بأكل لحوم البشر.

والنتيجة: ظهور جيل كامل يخشى الظلام، يتوجس من انقطاع التيار الكهربائي، تصيبه القشعريرة من الأماكن المظلمة، يمتلئ قلبه رعباً من الكائنات التي تقدمها الشاشة في شكل مخيف، فيجري فرقا لرؤية العنكبوت، يفر عدواً إذا رأى خفاشاً، يتجمد الدم في عروقه إذا خيل له خياله صورة شبح في الظلام.

الدكتور «جلين سباركس Glenn Sparks» أستاذ التواصل في جامعة «بورديو Purdue» بفرنسا، والذي قضى سنوات عمره يبحث عن تأثيرات أفلام الرعب على الأطفال، يفسر إقبال منتجي السينما على إنتاج أفلام الرعب وألعاب الفيديو بأنها تحظى بإعجاب الجمهور العالمي، فالعنف لغة عالمية تعبر حواجز اللغة، وهي لغة سهلة الفهم، وفوق ذلك والأهم أيضاً أنها في إنتاجها سريعة وسهلة ورخيصة، لا تحتاج إلى إبداع في كتابة القصة والسيناريو.

كلمات أستاذ التواصل صادقة تماماً. فيلم مثل «Saw» على سبيل المثال، أخرجت منه هوليوود أكثر من سبعة أجزاء رغم ضحالة الفكرة التي يقوم عليها، والتي تدور حول



شخص يعاني من عُقد نفسية، يحتجز مجموعة من الضحايا في غرف مظلمة، ويمارس عليهم ألواناً من التعذيب، في شكل لعبة «game»، فهو يطلب من أحدهم القيام بفعل معين لينجو بحياته، وكلما زادت بشاعة المناظر، واشمئزاز المشاهدين، صُبَّت الأموال صبًّا في جيوب المتجين.

وينبهنا الدكتور «سباركس» إلى ردود الأفعال الجسمانية التي تنتج عن مشاهدة أفلام الرعب، والتي تشمل:

- فقدان الشهية للطعام.
- توتر في عضلات الجسم.
- انخفاض درجة حرارة الجلد وارتفاع حاد في ضغط الدم.
- زيادة في معدل ضربات القلب تقدر بـ ١٥ نبضة في الدقيقة، ومع تكرار هذا يصاب الشخص على المدى الطويل بالأزمات القلبية، أو توقف القلب في أسوأ الحالات.

أما تأثيرها على الجانب النفسي والسلوكي:

- زرع الخوف داخل قلوب الأطفال، وتدفع السلوك إلى الجانب العدواني.



- مع تراكم مشاهدتها تتجمد الأحاسيس والمشاعر لدى الأطفال، فلا يتأثرون بالأم الآخرين، ويستهنون بالمصائب التي تنزل بهم.
- وتتسبب مشاهدة أفلام الرعب في حدوث إصابات نفسية، تترك أثاراً بعيدة وجروحاً في أعماق النفس، ومنها:
- القلق: يفقد الطفل الأمان، حيث يتخيل أن ما شاهده على الشاشة سيطارده ليعذبه مثلما استمتع بعذاب ضحاياه في الفيلم.
- الأرق وقلّة النوم: يمتنع النوم عن زيارة الطفل، وقد تتناوبه الكوابيس والأحلام المزعجة.
- الخوف: من الظلام، والبكاء. الصراخ، والرعدة والغثيان، الخوف عند وفاة أحد المعارف.
- الرهاب: ويشمل الخوف من الأشياء التي تقدمها أفلام الرعب، سواء كانت حشرات، حيوانات، فيضانات، مياه، مرتفعات، وجوهاً مشوهة، بيوتاً مهجورة.

تلك النتائج تتفق مع الأبحاث التي أجرتها الدكتورة «Joanne Cantor» مديرة مركز أبحاث التواصل بجامعة



«Wisconsin»، حيث تؤكد أن مشاهدة الأطفال تحت سن 14 عامًا للأفلام المخيفة تسبب لهم مخاوف اضطرابية مدى الحياة. يرجع هذا إلى أن الأطفال يتسمون بكونهم أكثر تأثرًا من غيرهم، ويصعب عليهم التفريق بين التهديد الحقيقي والخيالي.

وفي السنوات الأخيرة، وبعد أن لاحظ منتجوا تلك الأفلام أنها أصبحت لا تستهوي الأطفال، بسبب مشاهدتها المتكررة، تفتق ذهنهم عن أفكار جديدة، فاتهموا إلى إنتاج «أفلام الخيال» التي تخلق بالطفل في عالم آخر غير عالمه الواقعي، وتعتمد على أبطال ملامحهم غريبة.

الاستشاري النفسي «عثمان بدير» يرى أن تلك الأفلام لها العديد من الآثار السلبية، ومنها: «قتل روح الواقع داخل الطفل، وخلوها من الطموحات المناسبة لبني البشر، وتقديمها حلولاً سهلة وغبية للمشكلات، وتحللها من جميع المعايير الأخلاقية، وإدخال أفكار ومعتقدات خرافية لها تأثيرها الخطير على مستقبل الطفل ونظرة الواقعية للأمور وطريقة تعامله مع الواقع».

وما ينطبق على أفلام الرعب والخيال، ينطبق أيضًا على الروايات والقصص التي تزرع الأوهام في قلوب الصغار،



ليسكن فيها الخوف، وتمرح فيها الأشباح والعفاريات،
وتعشش فيها الوطاويط..



إشراقة:

«إن الخوف يقتل أكثر مما يقتل الموت، فالموت يقتلنا مرة واحدة، وعادة ما لانحس بها، أما الخوف فيقتلنا المرة تلو المرة» .
(جورج باتون)





الاستسلام لسحر ألعاب الحاسب الآلي والهواتف الذكية

إذا كانت الاحتجاجات تتصاعد على أفلام الرعب بما تعرضه من مشاهد دموية، وإيحاءات غير إنسانية تشجع الأطفال على الجريمة، إلى جانب نوعيات أخرى من الأفلام التي تتعاطف مع المجرمين، وتحاول أن تبرر ما يفعلون، وأفلام تعرض مشاهد إباحية، فما بالكم إذا كان الطفل يستطيع أن يشارك في كل الأفلام وينتقل من مقاعد المتفرجين إلى مصاف الأبطال؟

فقد أتاحت ألعاب الحاسب الآلي والهواتف الذكية والأجهزة اللوحية أن ترجم ما يشاهده الطفل على شاشة التلفاز، ليتحول بضغطة زر إلى مجرم يقتل رجال الشرطة، ويسرق المارة، ويحرق القوانين والأعراف والأديان.

وقد أفاضت الدراسات العلمية في ذكر أضرار ألعاب الحاسب الآلي والبلاي ستيشن والهواتف الذكية، نذكر منها:



- **أضرار صحية:** فالجلوس أمام شاشات الحاسب الآلي والهواتف الذكية لمدة طويلة يؤثر على صحة العين، إذ يتسبب في إصابتها بالإجهاد، وقد يؤدي إلى الإصابة بقصر النظر، كما يؤدي إلى الإصابة بالسمنة الناتجة عن قلة الحركة. ويؤدي الجلوس بطريقة خاطئة إلى مشاكل في العمود الفقري، إلى جانب آلام في الكتفين والرقبة ومفاصل اليدين، والشعور بالصداع النصفي.
- **مخاطر نفسية:** مثل الانسحاب من العالم المحيط، والعزلة النفسية، وعدم الرغبة في التحدث مع الآخرين، والاكتئاب، والقلق والتوتر الدائمين، والاضطراب في النوم، وضعف التحصيل الدراسي، وقلة الانتباه والتركيز، والعنف والعصية الزائدة، وتقبل العنف في حل المشكلات.
- **مخاطر أخلاقية:** حيث تشجع الألعاب الإلكترونية الأطفال على ممارسة العنف، والتنمر على الآخرين، والتلفظ بألفاظ نابية وعنصرية.

ولأن أسلوب المنع قد أثبت فشله التام، فعلى الآباء والأمهات وضع قواعد لتنظيم عملية الجلوس أمام شاشات الهواتف الذكية، خاصة أنها ليست شرًا خالصًا،



فهي وسيلة هامة للتعليم إذا أُحْسِنَ استخدامها في تنمية ذكاء الطفل وصقل مهاراته وتوسيع مداركه، من خلال الألعاب والرسوم الهادفة التي تحتوي على مفاهيم وقيم طيبة.

فهناك ألعاب تعليمية، تعتمد على شخصية كارتونية، تعلم الطفل عديدًا من العادات والسلوكيات المحببة، مثل عدم الكذب، والدعوة إلى حب الآباء والأمهات والأصدقاء، وعدم تلويث البيئة.

وهناك ألعاب فكرية، لتقوية الملاحظة والتركيز، تقوي وتدعم لدى الطفل سرعة البديهة والخيال الخصب، وتقوية الذاكرة والنشاط الذهني.

وهناك ألعاب حربية، تعتمد على وضع استراتيجيات للحرب، وهذا النوع من الألعاب يحتاج إلى نضج عقلي، وتفيد في تقوية المهارات الفردية والقدرة على التفكير. مع التشديد على أن بعض هذه الألعاب قد يجرس على الكراهية بين الشعوب، والتفرقة العنصرية.

لهذا، وللخروج من مأزق تعلق الطفل بشاشة الهاتف الذكي، من الضروري اختيار الألعاب الإلكترونية المناسبة لعقل الطفل ومهاراته، على أن يحرص الآباء والأمهات على إجراء تقييم شخصي للألعاب قبل أن يجلس إليها طفلها



ويقضي معها ساعات من عمره.

ولتقليل الأضرار الصحية للألعاب الإلكترونية، ينصح العلماء بـألا تزيد مدة اللعب عن ساعتين يوميًا، بشرط أخذ فترات راحة كل 15 دقيقة، وألا تقل المسافة بين الطفل والشاشة عن 70 سنتيمتر.

أخيرًا، نقول إن البهجة التي يبحث عنها أطفالنا في الألعاب الإلكترونية، إنما تنطلق طبيعية من أعماقهم بدون أي مؤثرات، إذا كان الآباء أصدقاء لأبنائهم، يحوطنون عليهم بحبهم وحنانهم، لا يكفون عن مناغاتهم، والملاعبة البريئة، والخروج في نزوات جميلة، وقراءة القصص المسلية التي تسبق النوم. فلتتجاوز مع أطفالنا، ونقص عليهم قصص تاريخنا العظيم، ولنحرص على شغل وقتهم في كل ما هو مفيد، ولنشجع مواهب الطفل. فإذا كان محبًا للرسم، فلنثني عليه حتى يضارع بابلو بيكاسو. وإذا كان قارئًا، فلنمده بالكتب المفيدة حتى يشابه عباس العقاد في ثقافته.



أرجوك لا تفعل هذا



إشراقة:

«تسلية الطفل اليوم تكلف أضعاف ما كان يدفعه
والده بالأمس من أجل تعليمه».

(هاردينج)



أن تدع طفلك فريسة لمواقع التواصل الاجتماعي

في سنوات معدودة، استطاعت مواقع التواصل الاجتماعي أن تحقق انتشارًا واسعًا، إذ صارت من التطبيقات الأكثر تنزيرًا على شبكة الإنترنت، على مستوى شعوب العالم.

وكأنها تجمع في جعبتها كل حيل السحرة، استطاعت مواقع التواصل الاجتماعي الانتشار بين كافة المستويات العمرية والاجتماعية والاقتصادية.

وتبدأ علاقة بعض الأطفال بتلك المواقع منذ الصغر، وربما من قبل أن ينطق بكلمة واحدة، إذ يقدم آباء وأمهات أجهزة المحمول لأطفالهم، ويشغلون عليها تسجيلات مصورة (فيديوهات)، تجذب الطفل بما فيها من صور متحركة ونغمات موسيقية.

من تلك اللحظة تبدأ العلاقة المبكرة بين الطفل ومواقع التواصل الاجتماعي، حتى يمكن القول إنها تشارك الآباء والأمهات في عملية التنشئة الاجتماعية، ونقش القيم والمفاهيم في عقل الطفل الغرير.



وحتى لا تتحول إلى إدمان يستحوذ على وقت الطفل مع الوقت، ثم إلى أكبر مشتت للانتباه خلال مراحل نموه العمري والعقلي، على الآباء والأمهات مراعاة كيفية التعامل الذكي مع مواقع التواصل الاجتماعي.

قد يكون من الصعب إبعاد الأطفال عن تلك المواقع، وقطع كل حبال التواصل بينهما، لكن من الممكن تعظيم الاستفادة منها.

منذ اللحظات الأولى، يمكن إسماع الأطفال الأصوات الجميلة في موقع مثل يوتيوب، كالاستماع إلى القرآن الكريم. ومن الأهمية بمكان تنزيل التطبيق الخاص بالأطفال «YouTube Kids».

وبدلاً من ترك الطفل يجوب عوالم مواقع التواصل الاجتماعي بلا هدف، يمكن للآباء والأمهات أن يطلبوا من الطفل البحث عن معلومات بعينها، لبحث عنها، وفي نهاية عملية البحث يسألونه عن نتائج البحث التي توصل إليها.

ومن الأهمية توجيه الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة إلى مشاهدة القصص المفيدة، بعيداً عن أفلام الكارتون الغريبة التي تشجع العنف، مع سؤال الطفل عن الفوائد التي



تعلمها، والمعلومات التي تحصل عليها.

وحينما يتعلم الأطفال الكتابة، من الضروري تشجيعهم على كتابة المقالات ومشاركتها مع الزملاء في الصف الدراسي، حتى لا يكتفون بالمشاهدة السلبية دون التفاعل. بتعبير آخر: تشجيع الأطفال على أن يكونوا من صناع المحتوى الهادف، لا مجرد متلقين.

وإذا انجذب الطفل إلى نجوم الرياضة، وخاصة كرة القدم، يمكن توجيههم، بأن هؤلاء النجوم لم يصلوا إلى النجومية بضربة حظ، وإنما عملوا على أنفسهم، واجتهدوا وتدريبوا، وحرصوا على تناول الطعام الصحي، واتباع تعليمات المدربين. فأنت يا صغيري إذا أردت أن تكون نجمًا، فيمكنك أن تكون نجمًا في المجال الذي تحبه، لكن بالجدد والاجتهاد، وأن يضيف وقت فراغك وتسليتك إلى عقلك، لا أن يخصص منه.

ويمكن ربط مواقع التواصل الاجتماعي بالمقررات الدراسية، فإذا كان الطفل يدرس أنهار الوطن العربي، وجباله وتضاريسه ووديانه، فليبحث ولتبحث معه الأم عن تسجيلات مصورة تعرض في شكل جذاب ومبسط تلك المعلومات.



وإذا استخدم الطفل مواقع التواصل الاجتماعي، يمكن للمربي أن يطرح عليه أسئلة من نوعية: ما المواقع التي تستخدمها؟ ما الذي يعجبك فيها؟ ماذا شاهدت اليوم؟ كيف استفدت منه؟ وليدع الطفل يعبر عن رأيه بلا خوف، ويدخل في مناقشة معه، وليستمع إلى آرائه ومشاعره دون انتقادها. وعلى المربي أن يتواصل مع الطفل بعد الحوار لمتابعة تطور سلوكه في التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي، وما إذا كان يتبع النصائح والإرشادات.

ومنذ البداية، يجب على الآباء والأمهات وضع قواعد لاستخدام الهاتف الذكي ومواقع التواصل الاجتماعي، فلا أن تكون في صحبتهم طوال ساعات النهار، أو تركها مع الأطفال في ساعات الليل، يجب تحديد وقت محدد فقط للاستخدام في اليوم.. ساعة.. ساعتان.. ويمكن ربط الاستخدام بأن يكون مكافأة على السلوكيات الطيبة، فيما يُحرم الطفل منها في حالة الإتيان بسلوكيات سيئة.



أرجوك لا تفعل هذا



إشراقة:

«ما سيكونه أطفالنا هو ما سيكونه مجتمعنا القادم».

(سوزان لافوليت)





إهمال تعويد الطفل على القراءة

القراءة هي البوابة الأولى للدخول إلى مدائن العلم والمعرفة، والسبيل إلى التقدم والرقي، وهي منهج أمة الإسلام.

المتأمل للمشهد الأول لنزول الوحي على رسول الله ﷺ يجد أن الأمر الرباني لرسوله وأمته قد أكد على القراءة والعلم. يقول تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: 1-5]. فذكرت الآيات فعل الأمر اقرأ مرتين، وذكرت العلم مرتين، وذكرت أداة العلم وهو القلم، وربطت القراءة والعلم بالله، أي أن يكون هدف العلم في سبيل إسعاد البشرية، وبالعلم يعرف الإنسان ربه ونفسه، يعرف كيف خلق الإنسان من علق، وكيف علمه الله ما لم يكن يعلم.

رغم هذا، تقول إحصائيات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» لعام 2023 إن الطفل العربي يقرأ بمعدل 7 دقائق سنوياً، وإن ما يقرؤه لا يتجاوز ربع



صفحة، فيما الطفل الأمريكي يقرأ 6 دقائق يوميًا.

إذا كنا نريد التقدم، فلا سبيل إلا بالعودة إلى القراءة،
والبداية يمكن أن تكون مع الطفل، فالقراءة عادة، إن مارسها
الطفل في صغره شب على حبها، وإن أهملت استثقلها في
كبره.

وفعل القراءة ازدادت أهميته في ظل انتشار الألعاب
الإلكترونية على أجهزة الحاسب الآلي والهواتف الذكية
والأجهزة اللوحية، وجاذبية وسائل التواصل الاجتماعي،
واستحواذها على حياة أطفالنا.

والأب والأم قادران على تشجيع طفلها على القراءة بشراء
القصص الجميلة وقراءتها له. يقول الدكتور «مصطفى
محمود» (1921 - 2009) في مذكراته:

«لا أنسى عندما دخل أبي وهو يحمل ربطة كتب ومجلات
ملفوفة بخيط دوبارة، وأعطاه لي بدون أن يذكر لي ماذا
أفعل بها. كنت ما زلت طفلاً صغيراً، وبالتالي كانت
النتيجة المنطقية أن أقوم بتقطيع معظم هذه الكتب، إلا أنني
وأنا ألعب وأمرح على بقايا مذبحه الكتب، وقعت عينا ي
على إحدى صفحات مجلة وجدتها تحمل صوراً ورسومات
شيقة لقصة مصورة. أعجبتني جداً، وأردت أن أعرف باقي



القصة، ودفعتني عقلي الصغير إلى محاولة إعادة تجميع وترتيب القصة كلها، وكانت بداية القراءة معي، وكان هذا ما يريده أبي، الذي كان يراقبني من بعيد».

ويمكنك عزيزتي الأم أن تحرصي على قصة ما قبل النوم، والتي تراجعته الآن في عصر التلفاز، فتلك القصص لها أهمية كبرى في حياة الطفل، وتوقيت قراءتها هو سر قوتها، إذ ترسخ في عقل الطفل في أثناء نومه.

يمكن إعادة إحياء قصص ما قبل النوم بشراء مجموعة من القصص القصيرة، ونقص على الطفل قصة كل ليلة.

كذلك من الضروري وجود مكتبة داخل البيت، تقع عليها عين الطفل منذ أن يرى الدنيا. والأهم أن يرى والديه ينهلان من علمها، فالطفل يجب تقليد الكبار، فإذا ما كان الكتاب رفيقاً للأب وللأم، اتخذ الصغير صديقاً.

ويمكنك عزيزي الأب أن تنادي على طفلك ليقراً معك فقرة في كتاب قرأتها وأعجبتك، ثم تناقشه فيها، وتساءله عن رأيه فيما حوته من معلومات وأفكار.

الكاتب الصحفي الكبير «صلاح منتصر» (1933 - 2022) يقول إن والده كان إذا أعجبتَه مقالة في الجريدة



تظاهر بأن نظارته تاهت منه، ويطلب منه أن يقرأ له المقال بصوت عالٍ، «ثم بعد ذلك يسألني رأيي فيها ويناقشني في تفاصيلها، ليعرف أن كنت قد فهمت ما قرأت، أم أنني كنت أردد الكلمات كالبيغاء. ومن خلال هذه المناقشات كان يعرف أفكاري ومشاكلي وأصدقائي وأساتذتي وهو ياتي».

ومن الأساليب المحببة إعطاء الطفل مكافأة في حالة قراءة الكتاب، وتلخيص أهم ما جاء فيه من أفكار. كان والد

من الكتب التي يمكن أن أرشحها لكي تحب الأطفال في القراءة: سلسلة القصص التي كتبها عبد الوهاب المسيري، وسلسلة المكتبة الخضراء الصادرة عن دار المعارف بالقاهرة. ومن المجالات: ناشيونال جيوغرافيك للشباب، ومجلة العربي الصغير، وسلسلة الباب المفتوح.

الشيخ الشعراوي يتحمل مشقة السفر من قريته في أعماق الدلتا إلى محطة القطار يوميًا ليشتري الجريدة، التي كانت كثيرًا ما تنشر قصائد أمير الشعراء أحمد شوقي (1868 - 1933)، ويطلب من ابنه حفظ كل قصيدة يجدها، ويغريه بإعطائه ريالاً (20 قرشًا) على كل قصيدة يحفظها. يقول الشعراوي: «ووقتها كان الريال في



العشرينات حاجة كبيرة قوي».

ومن الأشياء الهامة لتعويد الطفل على القراءة أن تكون الكتب التي يقرأها شيقة، لأنه إذا لم يجد فيها متعة وتشويق انصرف عنها. كثير من الآباء يشتكون أنهم يحضرون قصصاً هادفة، لكن الأطفال ينصرفون عنها في ضجر. فالطفل لا يريد قصصاً وعظية بقدر ما يريد قصصاً مسلية وشيقة. ويمكن علاج هذا بالاعتماد على القصص المصورة، ذات الأسلوب السلس والتصميم الأنيق.

ومن الضروري أن يجلس الطفل أمام شاشات التلفاز والفضائيات لمشاهدة القنوات العلمية والوثائقية التي تتحدث عن عالم النبات والحيوان والطيور. فعوالم الطبيعة تجذب عين الطفل بمشاهدها المبهجة، ومناظرها البديعة. ويمكن تدعيم تلك المشاهدة بشراء كتب مصورة، أو أخذ الطفل في جولات داخل حدائق الحيوان والحدائق العامة، ونطلب منه أن يقول لنا أسماء الأشجار والطيور التي يراها. كذلك يجب مراعاة رغبات الطفل واحتياجاته القرائية، فالطفل مثلاً يحب قصص الحيوانات وأساطيرها، ثم بعد مدة قصيرة يهوى قصص الخيال والمغامرات والبطولات. فعلى الأب أن يساهم في تلبية رغبات طفله، وعدم إجباره



على قراءة موضوعات أو قصص لا يميل إليها.

وإذا ما شارك طفلك في رحلة مدرسية، فاحرص على أن تزوده ببعض الكتب والقصص المشوقة عن تلك الأماكن التي سيراها.

ومن الأهمية بمكان أن تزود طفلك بكتب عن الشخصيات التي يهواها، أو التي تريد أن تكون قدوة له، فعلمه حب الرسول ﷺ، والصحابة الكرام. حدثه عن بطولات خالد بن الوليد، والسلطان الشهيد نور الدين محمود، وبطل حطين صلاح الدين الأيوبي، وقاهر التتار قطز. ولا تنس الكتب التي تتحدث عن الشخصيات العلمية، سواء كانت إسلامية أو غربية. واحذر عزيزي الأب واحذري عزيزتي الأم من الكتب التي تتحدث عن الجن والعفاريت والكائنات الفضائية التي تدبر الخطط لتدمير كوكب الأرض.

وفي القصص الإسلامي، ابتعد عزيزي المربي عن الإسرائيليات، وهي الأخبار والروايات المنقولة عن بني إسرائيل، والتي استقاها القصاص من كتب اليهود، كالتوراة وكتب الأدب العبرية، وخطورتها أن تحكي عن أساطير وخرافات، وقد تفسد جمال القصص القرآني، وتربي العقل على التفكير غير المنطقي.



وفي هذا العصر الذي يموج بالتيارات الفكرية، والجهات التي تترصد للإسلام والأمة الإسلامية، نجدها تستغل الإسرائيليات التي وردت في بعض كتب التراث بهدف تشويه صورة الإسلام في عقول الشباب، بل وكبار السن. الأأسلم أن نأخذ بما ورد في القرآن الكريم وصحيح الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ.



إشراقة:

«كل ما أريد معرفته موجود في الكتب، وخير صديق لي هو من يقرضني كتاباً».

(إبراهيم لنكولن)



كبسولات تربية

«رأيت كثيراً من الآباء قد أفرطوا في تدليل أبنائهم، ردة فعل على قسوة آبائهم معهم، وهكذا يؤدي عدم الحكمة في التربية إلى متاعب جيلين فأكثر».

(مصطفى السباعي)

التقصير في إيصال القيم الإنسانية سيؤدي إلى أن لدينا جيل لا يعرف هويته، ولا ينتمي لشيء، وسيكون كل همه بالتالي موجهاً نحو تحقيق مصالحه الذاتية وشهواته ورغباته.

(عبد الكريم بكار)

«الإرادة متى تمكنت من النفوس، وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء، ذلت كل الصعاب، ومحت كل عقبة، وقهرت كل مانع مهما كان قوياً، ووصلت عاجلاً أو آجلاً إلى الغاية المطلوبة».

(سعد زغلول)



«تعرف أن أطفالك فدكبروا عندما يبدءون في طرح أسئلة لها إجابات».

(جون بلومب)

«التعبير عن الإعجاب لدى الأطفال بسيط جداً، وعملي جداً، كل ما هو جميل يجب أن يُحرق أو يُحطم أو يُمزق أو يُبدد!»

(أحمد خالد توفيق)

«أن يكون عندك أطفال لا يجعل منك أباً.. تماماً كأن يكون عندك بيانو لا يجعل منك موسيقار»..

(مايكل لوفين)

«لا نتوقف عن اللعب لأننا كبرنا؛ إننا نكبر لأننا توقفنا عن اللعب».

(جورج برنارد شو)

«من لا يقدر أن يقوم بواجب الأب، فلا حق له أن يتزوج ليصير أباً».

(روسو)

«رؤية الكبار شجعاناً هي وحدها التي تُخرج الصغار شجعاناً، ولا طريقة غير هذه في تربية شجاعة الأمة».

(مصطفى صادق الرافعي)



«الطفل الذي تعلم في المدرسة فقط هو طفل غير متعلم».

(جورج سانتيانا)

«يكون الرجل في كبره، كما هيأته أمه في صغره».

(قاسم أمين)

«القسوة في تربية الولد تحمله على التمرد، والدلال في تربيته يعلمه الانحلال، وفي أحضان كليهما تنمو الجريمة».

(مصطفى السباعي)

«التربية جزء من الكدح المكتوب على البشرية أن تكدحه في الأرض، ولكن هذا الجهد يكون محببًا إلى النفس ولا شك حين يرى الإنسان ثماره الجنية، ويراهها قريبة المنال».

(محمد قطب)

«إننا إذ نربي لا نقدم هدية لأبنائنا، ولا نقوم بعمل تطوعي، وإنما نحاول بذلك أن نقوم بجزء مما التزمنا به من واجبات وآداب حين ارتضينا الإسلام دينًا لنا».

(عبد الكريم بكار)



«من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

(رسول الله ﷺ)

«الأم الواعية لدورها يجب أن تدرك أن الأمومة لا تعني مجرد غسل الملابس وتجهيز الطعام وإعداد البيت وترتيبه، بقدر ما تعني قلباً كبيراً يتسع للجميع، بحيث تكون الأم مثلاً أعلى لبيتها».

(عبد الغني عبود)

«من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، ولكن هذا المنهج يظل حبراً على الورق، ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذٍ فقط يتحول إلى حقيقة».

(محمد قطب)



«ليست القضية قضية أحلام وقضية آمال، كثير من الناس يحدثك عن فتح الأرض وهو مقصر في أسرته. لا نريد أحلامًا كبيرة بقدر ما نريد خطوات عملية صغيرة، نشعر من خلالها بأننا نتحسن ونتقدم حقًا».

(عبد الكريم بكار)

«إنني أريد إفهام المؤمنين أن الحياة في سبيل الله كالموت في سبيل الله، جهاد مبرور، وأن الفشل في كسب الدنيا يستتبع الفشل في نصره الدين. إن السلبية لا تخلق بطولة، لأن البطولة عطاء واسع، ومعاناة أشد».

(محمد الغزالي)

«أمصالحة خير من مائة أستاذ».

(جورج هربرت)

«من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن، وكساهن من جدته - أي من ماله - كن له حجابًا يوم القيامة».

(محمد رسول الله)

«دائمًا يستطيع الأطفال أن يعلموا الكبار ثلاثة أشياء:
السعادة بلا سبب، الانشغال بشيء ما، معرفة كيف يطلبون
بكل قوة ما يرغبون فيه».

(باولو كويلو)

«الناجح الحقيقي هو ذلك الذي يصرخ منذ ميلاده:
جئت إلى العالم لأختلف معه. ولا يكف عن رفع يده في
براءة الأطفال ليحطم بها كل ظلم وكل باطل».

(مصطفى محمود)



الفهرس

7	مقدمة.....
13	«ليس ذنبهم أن يومك كان سيئاً»
19	إهمال السنوات الأولى من حياة الطفل.....
31	التوبيخ المستمر للطفل والأوصاف السلبية.....
37	كافئه ولا تجبطه
43	مكافأة الطفل على السلوك الحسن فقط.....
49	عبر عن حبك لأسرتك قبل فوات الأوان
55	أرجوك أبي، لا تختلف مع ماما.....
61	لا تجعل ابنك ملعباً لكرة القلق الزائد.....
67	العقاب المستمر والتدليل الزائد
73	للخطأ وجهان.. عدم إتباع إستراتيجية النفس الطويل.....
79	الغضب والصراخ أثناء تعليم الأطفال.....
89	الغضب لمواجهة الطفل غير المبالي
97	التسليم بمطالب الطفل في حالة غضبه
105	إهمال وضع قواعد لمنع الممارك
111	أبي.. أقنعني من فضلك.....
117	أبي.. هل يمكن أن تحييني؟.....
125	أشهر أسئلة الأطفال وكيفية الرد عليها



- 133 الاستهانة بمشاعر الطفل
- 139 التمييز بين الأبناء
- 145 استحالة المساواة التامة
- 149 ترك الطفل نهياً لأفلام الرعب
- 155 الاستسلام لسحر ألعاب الحاسب الآلي والهواتف الذكية
- 161 أن تدع طفلك فريسة لمواقع التواصل الاجتماعي
- 167 إهمال تعويد الطفل على القراءة
- 175 كبسولات تربية